وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية علوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الاجتماعية

# جدلية العلاقة بين الحاكم و الرعية في نظام الحكم الاستبدادي عند عبد الرحمان الكواكبي

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص: فلسفة عربية إسلامية

إعداد الطالب(ة): بوعمامة أنيسة

بإشراف: د. سي البشير

لجنة المناقشة:

1) الأستاذ: رئيساً.

2) الأستاذ: مشرفاً ومقرراً.

3) الأستاذ: عضوا ممتحناً.

تاريخ المناقشة: .....

السنة الجامعية :2020/2019

# شكر وتقدير

الحمد والشكر للّه عز وجلّ الذي وفقني في إتمام هذا البحث

ويسّر لي كل الطرق من أجل التحصيل الدراسي

طيلة خمس السنوات

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف **سي البشير**

الذي لم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته القيمة

كما أتقدم بجزيل العرفان إلى أعضاء اللجنة المناقشة

تقديرا واحتراما لهم لقبول مناقشة هذا العمل المتواضع

كما أتقدم باسم عبارات الشكر والعرفان إلى جميع أساتذة قسم

العلوم الاجتماعية خاصة أستاذة الفلسفة.

# إهداء

إلى من أشعل لي أول شمعة، إلى عبق طفولتي، إلى دفئ حياتي وأريج شبابي

إلى ملجئي وملاذي...إلى والدي العزيزان

إلى الانسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح ...إلى رجل الصرامة والكرامة إلى أبي الحبيب أطال الله في عمره

إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة ... صاحبة البسمة الصادقة في حياتي ...

سندي إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها

إلى من حبهم يجري في عروقي ويهيج بذكرهم فؤادي إلى إخوتي الأعزاء أمال نادية هدى عبد الحق والكتكوت محمد

والشكر الخاص لطبيب العائلة المحترم رضوان محمد بوزيان

إلى من يجمعني بهم صلة الرحم والود والحنان عائلة بوعمامة إلى كل من شجعني وساعدني

أهدي هذا العمل المتواضع

أنيسة

**الفهرس**


| | |
|---|---|
| الشكر | – |
| الاهداء | – |
| الفهرس | – |
| **مقدمة** | **01** |
| **الفصل الأول: مقاربة حول الاستبداد** | **02** |
| **المبحث الأول: مفهوم الاستبداد** | **03** |
| لغة | 03 |
| اصطلاحا | 05 |
| **المبحث الثاني: نشأة وتطور الاستبداد** | **06** |
| تاريخ الاستبداد في الفكر الغربي | 06 |
| تاريخ الاستبداد في الفكر العربي | 10 |
| **المبحث الثالث: أنواع الاستبداد** | **13** |
| الاستبداد الفكري | 13 |
| الاستبداد الاقتصادي | 14 |
| الاستبداد السياسي | 14 |
| **الفصل الثاني: نظرية الاستبداد عند الكواكبي** | **16** |
| **المبحث الأول: نشأة الكواكبي** | **17** |
| حياته | 17 |
| مؤلفاته | 21 |
| حركته النظالية | 21 |
| **المبحث الثاني: الاستبداد السياسي وأثره على الميادين الأخرى** | **23** |
| الاستبداد السياسي | 23 |
| الاستبداد والدين | 26 |
| الاستبداد والأخلاق والتربية | 29 |
| الاستبداد والعلم | 30 |

| | |
|---|---|
| **المبحث الثالث: بدائل الاستبداد عند الكواكبي** | **33** |
| الحلول | 33 |
| الشورى | 34 |
| الإسلامية الديمقراطية | 34 |
| **الفصل الثالث: نقد وتقيم** | **38** |
| **المبحث الأول: أثر الفكر السياسي للكواكبي في الفكر العربي المعاصر** | **39** |
| **المبحث الثاني: تقييم نظرية الاستبداد عند الكواكبي** | **39** |
| **خاتمة** | **41** |
| **قائمة المصادر والمراجع** | **42** |

# مقدمة

**مقدمة:**

تعد الظروف التي شهدها العصر الحديث بالنسبة للأمة العربية والإسلامية خاصة وفي ظل الحروب الصليبية اتجاها ومع بوادر سقوط الخلافة العثمانية وما شهدتها هذه الشعوب من تخلف وانحطاط وظلام دامس على كافة الجوانب ، جعل من الجوانب واللازم البحث عن حل ينير درب الشعوب ، والذي جاءت إرهاصته الأولى على يد مفكري الإصلاح ، عن بعض منهم بالجانب الديني وحاول الإصلاح بالرجوع إلى الدين واهتم البعض الآخر بالعلمنة والاقتداء بالغرب ونقل التجربة الغربية للوطن العربي ، كان في ذلك الوقت المفكر الثائر والمصلح السياسي يفكر بخلاف عنهم فقد عن هو بالسياسية وجعل المشاكل كلها السياسية سماها مرض السياسية إنه عبد الرحمن الكواكبي الذي حاول الإصلاح وإفادة الأمة العربية من خلال محاولة إصلاح السياسية التي مسها الاستبداد والفساد ، أفسدت هذه الأخيرة معها كل المجالات دون استثناء بهذه المبادرة التي أبدي بها الكواكبي ارتبط اسمه بالاستبداد فكما نقول الليل والنهار أو الشرق والمغرب نقول الاستبداد والكواكبي فقد بات متلازمين كأنهما وجهان لشيء واحد لا يذكر أحدهما إلى أشير للآخر تعد غاص الكواكبي في علم السياسية ودرسها وإهتم بها وحاول الإصلاح قدر الإمكان المشاكل السياسية أو الإصلاح السياسي فجاءت كتباته في مجال السياسية تناولت علاقة الراعي بالرعية والحاكم بالمحكوم وكل ظروب السياسية من بينه الاستبداد الذي حسب الكواكبي هو مشكل سياسي خطير واجب استئصاله من الجذور والوقوف عنده ومعالجته من هنا كان الفكر السياسي

- **كيف أثر الاستبداد على علاقة الراعي بالرعية ؟ وما موقف الكواكبي من هذا المرض السياسي الذي دب في الشعوب العربية ؟ وكيف حاول التخلص منه ؟**

- **أسباب اختيار الموضوع:**

إن أسباب وراء اختيارنا لموضوع جدلية العلاقة بين الحاكم والرعية في نظام الاستبدادي عند الكواكبي هي أسباب مزيج بين الذاتية والموضوعية .

فمن الأسباب الذاتية الميول نحو الدراسات السياسية العربية والرغبة في البحث في هذا الموضوع والإطلاع على خبياه وحيثياته .

أما فيما يخص الأسباب الموضوعية ، قلة الدراسات بهذا الموضوع إن بالكاد نجد دراسات معاصرة له .

الظروف المعاشة في هذا العصر ألزمن الرجوع إلى فكر الكواكبي لمعالجة مشكلات العصر .

- **أهمية الدراسة:**

وتكن أهمية هذا الموضوع في السعي لإيجاد حلول ومنافذ جديدة خاصة ونحن نعاني من أزمات سياسية في الوطن العربي.

- **صعوبات الدراسة:**

ومن الصعوبات التي وجهتنا خلال إنجاز هذا البحث قصر نظرنا وفهمنا لكتبات الكواكبي بحيث الكواكبي يكتب بلغة راقية وصعبة.

إن الموضوع موضوع سياسي وغالبا مثل هذه المواضيع تكون مضطهدة ومصادرها ومراجعها قليلة لذلك وجدنا صعوبات في المراجع خاصة مع جائحة الكورونا بحيث زادت الصعوبة صعوبة ، جعلت من الإلتقاء بالمشرف أمر شبه المستحيل والولوح إلى فضاء الجامعة أمر غير ممكن .

- **منهج الدراسة:**

إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي التاريخي ، النقدي لأن هذه المناهج مهمة في هذه الدراسة سهلت علينا عملية البحث وتنسيق الأفكار .

- **خطة البحث:**

وللوقوف في هذا الموضوع من كل جوانبه جعلنا له ثلاث فصول لفصل الأول تحت عنوان مقاربة حول الاستبداد تدرج تحته ثلاث مباحث الأول مفهوم الاستبداد لغة وإصطلاحا والثاني تناول نشأة وتطور الاستبداد في حين الثالث تناول أنواع الاستبداد ،أما الفصل الثاني من البحث كان بعنوان نظرية الاستبداد عند الكواكبي ضم هذا الأخير ثلاث مباحث أولاها نشأة

الكواكبي تناول حياته والثاني الاستبداد ، وأثره على الميادين الأخرى ذكرنا فيه الاستبداد وأثره على الدين بدائل الاستبداد عند الكواكبي تضمن الحلول والشورى والإسلامية الديمقراطية في حين كان الفصل الثالث نقد وتقيم تضمن مبحثين الأول جاء فيه أثر الفكر السياسي للكواكبي في الفكر العربي المعاصر أما المبحث الثاني كان بعنوان تقييم نظرية الاستبداد عند الكواكبي وختاما خاتمة تلخص كل ما جاء في البحث .

# الفصل الأول

# مقاربة حول

# الاستبداد

**المبحث الأول: مفهوم الاستبداد**

وقبل التطرأ إلى المفهوم الاصطلاحي كيف عبر عنه المفكرين يجدر بنا التطرأ إلى الاستبداد لغة وإلى جذور الكلمة من خلال القواميس والمعاجم العربية والأجنبية.

**المفهوم اللغوي** : الاستبداد من أصل استبد يستبد مستبد استبداد ويمكن القول بأن معظم القواميس العربية اتفقوا على ذا الكلام حول مصدر الاستبداد ولم يختلفوا حول أصل الكلمة ومعناها وهذا الذي إكتشفناه في جولتنا في بعض القواميس العربية الشهيرة وأن كلمة الاستبداد مأخوذو من فعل خماسي استبد

قاضي قاموس المحيط عرف الاستبداد ( استبد به أي تفرد)[1]قد يكون هذا التعريف موجز لكن دلالته كبيرة فهي تدل على التفرد والتسلط وعدم مشاركة الغير.

نعرض تعاريف أخرى لقاموس لسان العرب الذي أطنب في شرح هذا المصطلح وأردف له عدة تعاريف لكن كلها حيث في مفهوم وتحد تقريبا.

يقال استبد بالأمر يستبد به استبداد إذا إنفرد به دون غيره وإستبد برأيه إنفرد به [2] دون أي جهد كبير نفهم من هذا التعريف أن مفهوم يدل على التسلط ورفض المشاركة والمشاورة وفرض التسلط والتأمر.

وعليه تأمر المؤتمر هو نفسه المستبد أيه وقيل هو الذي يسبق للقول والمؤمر أيضا المسلط وتأمر عليهم أي تسلط [3].

أما في قاموس الوسيط نجد استبد ذهب واستبد الأمر بفلان عليه فلم يقدر على ضبطه واستبد بأميره ، غلب على أمره فهو لا يسمع إلا منه [4].يدل هذا التعريف الأخير على التجبر وحب الهيمنة وفرض الشيء على من وقع عليه الفعل وتحميله ما لا طاقة له به وهذا وهو الاستبداد بعينه لقد عرجنا في هذه اللمحة القصيرة لمفهوم الاستبداد في القواميس العربية ومعاجمها وكانت جلها تدل على أن الاستبداد هو التفرد والتسلط ورفض المشاركة والتأمر على الناس حتى في القواميس التي وقفنا عندها بالألسن دوت أن نجرد ما فيها كونها تصب في

---

[1] الطاهر أحمد الرازي ترتيب قاموس المحيط على طريقة مصباح منير وأساس البلاغة الجزء 1 عيسى البابي الحلبي وشركاءه مطبعة 2 ( د س ن) ، ص234.

[2] ابن منظور لسان العرب ، م ج1 دار الصادر بيروت طبعة 1 1997 ، ص164.

[3]ابن منظور ، مرجع سابق ، ص 164.

[4] إبراهيم أنيس وآخرون معجم الوسيط م ج 1 مادة بدر ص 42. ع م 3.

نفس المفهوم الذي ذكرناه سابقا فكل المفكرين استخدموا هذا المصطلح في اللغة العربية على هذا النحو أما في اللغات الأجنبية الأخرى قد عبر على هذا المفهوم باللغة الانجليزية الاستبداد Despotism وفي اللغة الفرنسية Despotesme وفي الأغريقية يرادف الاستبداد كلمة Despotisuo فنقول في اللغة في اللغة الإنجليزية والإغرايقية Despot وفي اللغة الفرنسية Despote تعني المستقل برأيه غرورا واستعلاء وهو المتعلق على نفسه والمستكفي بذاته وكلمة Despotes أي مستبد ، أصلها إغريقي وتعني الولي الذي له ريق وخدم وحشم[1] .

لكن الظاهر أن هذه الكلمة لم تفي التعبير الاستبداد كما في القواميس العربية لذلك عكف بعض مفكرين العرب إستخدام كلمات أخرى حتى يقفوا على الاستبداد في اللغات الأجنبية بشكل تام وعلى نحو ذلك نجد كلمة الديكتاتورية Ditatorship هذه الأخيرة هي الأكثر انتشارا في الأوساط منذ العهد اليوناني وكذلك نجد الطغيان Tyranny وتعني استبداد الحاكم الذي يبني سياسته على العنف[2] ،ولعله الأقرب دلالة للاستبداد في اللغة العربية من حيث المعنى لأن مرادفات الاستبداد هي الظلم والعنف .

في المقابل المستبد هو الذي يقوم بفعل الاستبداد على فرد معين ومجموعة أفراد ويقابل المستبد الطاغية والمتغلب والمتسلط والمتأمر والمأتمر وفي أعلى درجاته المتكبر المتجبر. ونقف عند أفلاطون الذي عرف الاستبداد بأن المستبد يستولى على السلطة بالقوة ويمارسها بالعنف بعد ذلك يسعى إلى التخلص من أخطر خصومه ويكثر من الوعود ويبدأ بتقسيم الأراضي مما يجعله شعبيا ومجبوب وهو ما ينفك يفتعل حروبا ليظل الشعب بحاجة دائمة إلى قائد وهذه الحروب تفقر المواطنين من خلال ما يدفعونه من ضرائب باهضة مما يضطرون لزيادة ساعة العمل مما لا يدع لهم وقت لتأمر على المستبد والحرب تساعده على تخلص من معارضي سياسية حيث يقدمهم في الصفوف الأولى في المعركة ، إن كل ذلك يدعو إلى إستياء الجماهير حتى أعوانه الذي رفعوه إلى السلطة وهنا لا يجد إلا القضاء على المعارضة بما يمتلكه من وسائل العنف والقوة فيزيد من تسلحه ومن حرسة الخاص من المرتزقة مما

[1] عبد المنعم حنفي معجم تأمل للمصطلحات فلسفية في اللغة عربية إنجليزية فرنسية ، مكتبة مديولي 6 ميدان طلعت حرب القاهرة ، طبعة 2003 ، ص 51.

[2] محمد جمال طحان الاستبداد، وبدائله في الفكر العربي الحديث الكواكبي أنموذجا، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة 3، ص 34.

يتطلب نفقات طائلة فيلجأ المستبد إلى المزيد من نهب خزائن الشعب الذي يدرك بعد فوات الآوان أنه وضع في حال استعباد مسيس.

كأن أفلاطون يعيش بينا اليوم في عصرنا هذا فنفس الطرق التي ذكرها في استبداد الحاكم موجودة اليوم ومستعملة من طرق المستبدين والطغاة في حكمهم ، فدوما المستبد يستعمل سلطة القوة والهيمنة لحكم شعبه والطغيان عليه [1].

**المفهوم الاصطلاحي:**

يجدر الإشارة قبل الغوص في مفهوم الاستبداد اصطلاحا إلى أن هذا المصطلح سياسي بحث لذلك غالبا كل التعريفات إن لم نقل جلها صبت في علاقة الحاكم بالمحكوم، كما أن لهذا المصطلح مرادفات أخرى عرف من خلالها كالطغيان والديكتاتورية ويجدر أيضا أن تشير أنه قد لا نجد مفكر أو باحث لم يتناول الموضوع ويجعله في سطور كتاباته وإن قلت هذه السطور لذلك سنعرج على بعض التعريفات حتى لا تظلم البحث إطنابا ولا تقصيرا كون هذا المصطلح مصطلح سياسي نبدأ تعريفه من الموسوعة السياسي .

هو حكم أو نظام يستقبل بالسلطة فيه الفرد أو مجموعة من الأفراد دون الخضوع لقانون أو قاعدة دون النظر إلى رأي المحكومين [2]يقصد به تسلط فرد أو مجموعة من الأفراد بالحكم حسب هواهم .

وفي الموسوعة الفلسفية العربية الاستبداد هو الإنفراد بالأمر والأنفة على طلب المشورة أو عن قبول النصيحة حيث ينبغي الطلب والقبول[3] .

ومن الاستبداد حسب هذا التعريف الذي يبدو أكثر وضوحا من سابقيه إذا هو التفرد برأي ورفض النصحية وقت الضرورة والحاجة أو المواقف التي تقتضي الاستشارة من أهل المعرفة والدراية.

بمفهوم آخر الاستبداد هو تفرد في الرأي في شؤون تخص الجماعة وبالتالي هو احتكار أو اغتصاب حق الجماعة في إبداء رأيها ، وفي النهاية هو طغيان اعتداء عن لآخر [4].

---

[1] زوهير فريد مبارك أصول الاستبداد العربي مذكرة ماجستير 2007 ، ص08.

[2] عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية جزء ، بيروت المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، ص166.

[3] الموسوعة الفلسفية العربية المجلد 1 الطبعة 1 معهد الإنماء العربي ، ص53.

[4] يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة 1970 ، ص205.

في ما كان أفلاطون والذين سبقوه يطلقون على الاستبداد الطغيان جاء تلاميذه أرسطو لحصر مفهوم الاستبداد فكان أول من أشار إلى هذا المصطلح وقارنه مع الطغيان وعدد الفرق بينهما فقال بأنها نوعان من الحكم يعاملان الرعايا على أنهم عبيد... والاستبداد يراه البرابرة (البرابرة عند أرسطو هم البشر الغير يونانيون) هو خضوع المواطنين للحكام بإرادتهم لا فهم عبيد بالطبيعة لذلك وجب الخضوع لسيده وواجب عليه طاعته والقيام بجميع الأعمال التي يوكل إليها من طرف سيده ويقابل العبيد بالطبيعة البربريا الطبع وهم العبيد الذين جعلت منهم الظروف عبيد .

وعليه فإن مصطلح المستبد عند أرسطو تأخذ ثلاث أبعاد

أ- رب الأسرة

ب- السيد على عبيد

ج- ملك البرابرة الذي يحكم رعاياه كالعبيد[1].

وفي مفهوم آخر عرفه محمد عبده على أن الاستبداد المطلق الممنوع منابذ لحكم الله في التشريع الشرائع فإن نبذ للدين وآحكامه وسعي خلف الهوى ومذاهبه وذهاب لخفض كلمة الله العليا وفرق الإجماع السلف الصالح من المؤمنين، في جميع أمورهم التي يتولى عليهم من يخالف الكتاب والسنة إلى أحكام شهوته وهواه.

ومنه فإن الاستبداد بإسم الدين أو العلم أو التربية يدخل نطاق الاستبداد الفكري بحيث يتحكم في عقول الناس عن طريق سلطة الإعلام وسلطة البحث والتربية والتعليم ومالكي سلطة الإرشاد الديني ولكن ( عدم التسامح يبلغ أوجه مع نظم الديكتاتورية القائمة على عوامل تقنية حيث تتبنى فئة صغيرة حاكمة مذهب معين هو ضد تفكير مجموعة المواطنين)، إن هذا النوع من الاستبداد غالبا ما تمارسه الفئة الحاكمة بحيث تسعة إلى السيطرة على الموطنين من خلال توجيه التفكير مع ذلك قد تقوم به بأي مؤسسة أخرى خارج المؤسسة السياسية كالأسرة مثلا لذلك نفضل أن نطلق عليه كلمة استلاب بكونه يسلب العقول تمييز أنه من المصدر الأساسي للاستبداد.[2]

[1] زوهير مبارك ، مرجع سابق ، ص10-11.

[2] زوهير فريد مبارك ، مرجع سابق ، ص11.

**المبحث الثاني: نشأة وتطور الاستبداد**

ثم يصل كل المفكرين والباحثين إلى طبيعة الاستبداد ولا إلى معناه الدقيق متى بين وقف البعض جانب البعض منهم معنى الاستبداد فتاه في غيابات في دوامة ولنا هذا في هذا الجزء وقفة مع تاريخ الاستبداد.

**1-الاستبداد في الفكر الغربي:**

بمجرد الحديث عن الفكر الغربي يقودنا إلى الفلسفية اليونانية كبادئ الأمر كونها أول بداية الفلسفة والتفكير الفلسفي لنرى كيف عرف الاستبداد في تلك المرحلة.

1-كسينوفون XENOPHON نحو في 34 م 355 ق م من تلاميذ سقراط مؤرخ وفيلسوف وقائد أثني لقد فرق كسينوفون بين الملك والطاغية بحيث يرى أنه الملك والذي بحكم حكم دستوري يرضى الشعب في حين الطاغية هو الحاكم الذي لا تستند سلطته إلى قوانين ولا يجوز على رضى الشعب ولا يشترط كسينوفون قانون محدد للحاكم لا نوع حكم معين يحكم به كل ما يشترط في الحاكم هو القبول الشعبي له في حين تركت مسألة كإجراء شكلي في النهاية وهذا سمح للملوك التالين بأن يحكموا دستور يرضعونه وفق أهواءهم ومصالحهم ، وقبل كسينوفون بأن ينقلب الطاغية إلى الملك حين يجعل همه الوحيد مصلحة رعاياه فينقلب على المعايب المادية والأخلاقية للنظام الذي يحسده [1] .

بالمختصر الطاغية عند كسينوفون هو الذي يرفضه الشعب ويرفض أن يكون حاكما عليهم لذلك على الحاكم أن يكون له رضى الناس عليه من يولى عليهم ملكا دون أن يذكر أن نوع من الحكم معين للحاكم حتى إن كان الحاكم بحكم بمفرده ويرضى به الشعب فهو غير مستبد إن كان كسينوفون يرى في الطاغية المستبد هو من لا يملك رضى الشعب فإن ارسطو ذهب خلافه فهو يرى بأن المستبد الطاغية هو من ينفرد بالحكم لوحده فطغيان حسب أرسطو حكومة الفرد الظالم إن تكون غايته المصلحة الشخصية لا مصلحة المحكومين إن أرسطو يقبل أي نظام إلا طغيان المفرط والملكية التي لا بد أن تتحول إلى استبداد معتمدة على القوة [2].

فأرسطو يرفض نظام الفرد فهو نسبه يؤدي إلى الطغيان باستعمال قوة الجيش لقد تمثل الاستبداد في العصر اليوناني في تشكل طغاة سياسيين استبدوا بالحكم فإن ما تمثل في ماتلاها ( العصر الوسيط) كان استبداد بشكل لآخر وهو استبداد بدعوى الدين فقد حاول

---

[1] جان توشار تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط 1 ترجمة ذباحي الرواشة ،ط1 ،2010 ، ص44-45.

[2] يوسف كرم تاريخ الفلسفة يونانية ط5 ، القاهرة مطبعة لجنة تأليف والنشر 1970، ص206.

منظروا هذه الفترة إلى الاستعانة بالتغاليط المسيحية لتوسيع ممارسة الحكم التعسفي وصياغة الاستبداد الكنسي فقد إستند هذا الاستبداد على بعض الباباوات إلى نظرية الحق الالإهي Diriveright التي تقول إن الحكم الله وهو يختار من يشاء ليصبح محاكما بأمره وذلك ليتسنى لهم الاحتفاظ بمصدر الحق الذي يجسده البابا ثم حالة نظرية العناية الألهية proudence التي روجت الاعتقاد بأن عناية الله هي التي تضع أحد الافراد في مدن الحكم بدون تفضل البابا مستندا إلى فلسفة الخير التي سادت أوروبا حتى القرن 16 والتي تقول إن أعمال الناس كلها محددة سلفا بإرادة الله ولاخيار لهم واستندت أعمال البشر إلى الشيطان [1].

لقد ارتبط الاستبداد في عصر الوسيط بالدين ومبرر لكل أفعال الاستبداد إلى أوامر الله وفهم أعين الناس عن الخروج عن المستبدين خوف من عقوبة الإلاهية.

إلا أن هذا الاستبداد أيضا كان سياسيا أكثر مما هو ديني لكنه متخني خلف عبايت الباباوات والقصيصين ، ومع هذا جرى خلافات بين رجال السياسية ورجال الكنيسة حول من له حق الحكم بين الحكم المدني والكنسي في هذه الفترة ظهر ميكيافيلي.

لقد جاء ميكافيلي في عصره بفكر سياسي خلاف ما سبقه من قبله متجاوجا ومتحاشيا الأخلاق والقيم ، كما ابتعد عن الأحلام في تأسيس المجهوريات الديمقراطية والمدن الفاضلة التي سعى اليونانيون إلى تأسيسها طيلة عقود وحاربوا من آجلها.

تهجم ميكيافلي وانتقد بشدة الكنيسة بحجة أنها تعلم مبادئ المتعالية لترسم مجد السماء على حين أنه لم يرغب إلا في مجد الأرض، لذلك يغيب الامير ليكون له القول الفصل في كل ما يتعلق بدولته ، ونصح له بأن يقرر وحده الأوضاع الطارئة التي يجب عليه أن يكون شريرا فيها ليحافظ على منصبه [2]من الضروري التي يجب لكل أمير يرغب في الحفاظ على نفسه أن يتعلم كيف يبتعد من طبيعة لأخرى دون أن يبالي بما يقوله الآخرون عنه مادام هدنه أن يوم الرعايا على طاعته ولذلك يكون بالاجتماع على جد الأمير تارة و على الخوف منه تارة الأخرى يقوم ميكيافلي في كتابه الأمير" من الواجب أن يخافك الناس وأن يحبوك ولكن لما كان من العسير تجمع الأمرين فإن من الأفضل أن يخافك الناس على أن يحبوك [3]"وقد سار

[1] محمد جمال طحان ، مرجع سابق ، ص36.

[2] ميكيافيلي الأمير باب 16، ص136.

[3] نفس المرجع ، ص134-144 .

على هذا الأساس كرومريل حين قال : تسعة مواطنين يكرهونني من أصل عشرة ، ما أهمية ذلك إن كان العاشر واحد ومسلح [1].

وسار على نفس النهج الذي جاء بعد ميكيافيلي وحاول تأكيد ذلك من خلال كتابه الجمهورية تتحدث عن بودان Bodan الذي دافع عن الاستبداد الملكي وقيد الاستبداد بالأخلاق الطبيعية التي تتميز بضرورة خضوع الفرد للدولة تأكد في كتابة أن الاستبداد الملكي هو النظام الذي يتفق مع نظام الطبيعي أي أن أصل الدول والمجتمعات هو الحكم الفرد انطلاق من خلال الأسرة التي تبنى على سيطرة الفرد الواحد فيها ويلزم غيره بالطاعة كذلك بناء الدول تلزم الأفراد بالطاعة للحكم ولابد للحاكم أن تتوفر له السلطة الكاملة والمطلقة في الحكم [2].

غير بعيد عن بودان نجد توماس هوبز Tomashobes في صاحب مقولة الانسان كائن شرير بطبعه يرى بأن النظم السياسية أم الاصطلاحي نابع من ميول الإنسان لطبيعته والتي هي حسب هوبز الطبيعة الشريرة دافع أيضا في توجهه الفكر السياسي عن سلطة الملك المطلقة في وجه البرلمان " الانسان كائن شرير بطبعه يتحرك وفق مصلحته الذاتية وهو لابد من إلا إذا خاف الإنسان للانسان ذئب والكل في حرب هذا الكل الواحد ضد المجموع 'من هذا المنطلق أسس هوبز أفكاره وهكذا نشأت في فكره العقد الاجتماعي معه في الحياة عند مجال للبطش عند الأقوياء يستعملون قوتهم في السيطرة في تبين الضعفاء يعتمدون بالقابل في الخداع وجاءت فكرته السياسية كل لما كان يعيشه الإنسان بحيث نقل الناس ارادتهم إلى إرادة فرد منهم أو جماعة لا يتخلى عن تلك الإرادة ليحقق العدل والسلام والحاكم يملك السلطات كلها ليحقق إرادته التي هي إرادة الناس كلهم عن طريق فرض احترام العقد بالتهديد بالعقاب والسلطة الحاكم مطلقة [3] لأنه بدون مثل هذه القوة غير المحدودة ، لا يمكن أن يقام العدل وهو ليس طرف في العقد.

لكن على ما يبدو هوبز بفكره كل من الاستبداد أكثر من دافع عنه من خلال عقده الاجتماعي الذي كرس حكم المطلق والاستبداد .

---

[1] محمد جمال طحان الاستبداد وبدائله في الفكر العربي الحديث الكواكبي ، نموذجا ،ط3 ، ص38.

[2] ميكيافل الأمر تعقيب فاروق سعد ، مرجع سابق ، 253-254.

[3] جان توشان ، تاريخ الأفكار السياسية جزء 1 ، ص471.

هذا الذي سعى ( سبينوز paruchspihoza) إلى نقده ومهاربته فسار عكس هوبز في فكره السياسي فقال : " ضع على رأس الحكم فردا وثق بأنه سيحسن بالدرجة الأولى خدمة مصلحة وضع على رأس الحكم طبق وثق بأن لطبقة منذ حسن تدبير أمورها وخدمة مصالحها ، لكن جعل الشعب هو المسؤول عن نفسه ، وتدبير أمر فكره بأنه سيخدم نفسه بنفسه أكثر من بمحاكم غيره"[1]

يدافع هنا سبينوز عن فكره حكم الشعب لنفسه فهو حسبه ليس نمو تيار لا تسير كما يرعى هو بر بل هو يعرف كيف يحكم نفسه ويقيم العدل والمساوات بين الناس جميع. د

فهو يرى بأن الأفراد كلما زاد قدر ما يتمتع به الأفراد في الدولة من حرية ومساوات زاد حظ الدولة نفسها من الاتحاد والقوة [2].

في حين اتسم فكر جون لوك بروح الفردية إن لوك برفض نظرية هوبز الملكية المطلقة لأنه يرى في حكومه الاستبدادية عودة إلا الحالة الطبيعية السابقة على شكل نظام مدني أو سياسي ويقرر أن لكل سلطة حدود وأن حد كل سلطة هو الواجب [3].

ومع مونتيسكيو يفقد الاستبداد شرعية أن يعد الاستبداد عنه النموذج الوحيد المرفوض في الحكم لأن طبيعة هذا النمط هو حكم الفرد هواه ورغباته من دون قيد أو رقيب ، مبدؤه والخواف إن يعامل الحاكم رعياه كالبهائم لذلك خير من الحكومة المستبده التي تلزم الطاغية متناهية وترفض أن تناقش ضد قراراتها ولا تهتم لابتغاء رغباتها [4].

قد نفق عند هذا الحد من تاريخ الاستبداد والملاحظ في هذه الفترة عنه من خلال هذه الثلة من المفكرين أن الاستبداد وارتباط خصيصا بالسياسية والحكم دون غيره فالاستبداد يقودنا مباشرة للسياسية ونظم الحكم.

**2-تاريخ الاستبداد في الفكر العربي:**

لقد أتت مساهمة مفكري العرب في هذا الموضوع متأخرة جدا إلى قبل القرن 20 حيث غابت أو إنعدمت موضوعات وكتابات عن الاستبداد هذا لا يعني أنه لا يعرف المجتمعات العربية الاستبداد في تاريخها منذ نزوع الحكم مع الأمويين والعباسين وصولا إلى الأتراك الذين

---

[1] زكرياء إبراهيم مشكلة الحرية

[2] نفس مرجع ، 165.

[3] جان توشان ، مرجع سابق ، ص29.

[4] محمد جمال طحان ، مرجع سابق ، ص40.

واستبدوا بالحكم استبدادا سافرا وتطور الوعي بحث أصبح من الممكن التفريق بين ما هو ديني وبين ما هو سياسي وقد تزامن ذلك مع دخول مفاهيم حرية سياسية وأفكار مقاومة الاستبداد مع الاحتياج الأوربي والفئات الغربية في انحلال البلاد فإنبرى عدد من المفكرين العرب يناهض أشكال القمع والاستبعاد.

بدأ الحديث من الاستبداد عربيا مع الاشكاليات الحربية في الحكم من الفرابي الذي حاول يؤسس للمدينة الفاضلة التي حالة اليؤس لها ويضع قواعدها حيث قام بوضع مواصفات رئيس المدينة التي من أهم مواصفاته ،أن يكون فيلسوفا وهذا نفس التوجه فد أفلاطون فقد عرف من الفرابي تأثره به إلا أن الفرابي أضاف النبوة للحاكم فقد حاول أن يجد توافقية بين الدين والفلسفة بحيث يتم الوصول إلى مرحلة الفلسفة في الدين والزين في الفلسفة [1].

وهنا المدينة الفاضلة تقوم على يد الرئيس الأول لهذه المدينة ولهذا يجب أن يتمتع بمخيلة تبلغ غاية الكمال وهو بالتي الفيلسوف [2].

ويرى الفرابي أن على الحاكم أن يصل حاكما فيها للأبد مدى الحياة لكن يتم عزله في حال مارس الاستبداد والظلم [3] أي أن يحق للمحكومين أن يقوموا نخلع الحاكم في حال طغى وأصبح ظالم فهنا يخرج عن ماو كل به .

غير بعيد عن الفرابي تناول أبن رشد الاستبداد أو الطاغية في كتاباته وهو الذي كان يرى في الحكم الأموي استبداد فكان يسمى" وجداني السلطة" في كتاباته وهو الذي ينفرد بالسلطة لوحده فهو كان يرى بأن المدن المستبدة لا يمكن أن يتوفر فيها العدل [4] كون العدل يتعارض مع نظام حكم المستبدين القائم على التسليط والانفراد بالحكم وحداني السلطة لا يستشير غيره .

وكان ابن رشد من أبرز المعارضين للاستبداد وكان دوما رافضا له لأنه يرى أن الحاكم الظالم هو ذلك الذي يحكم الشعب من أجل نفسه لا من أجل الشعب ومن شر الظلم هو ظلم رجال الدين [5].

---

[1] أبو نصر الغرابي أراد أهل مدينة فاضلة تحقيق براهيم جزيني بيروت دار قاموس الحديث ، ص104.

[2] محمدى الجابري نحن تراث ط6 بيروت مركز الثقافي عربي 1993 ، ص60.

[3] أبو نصر الغرابي ، مرجع سابق ، ص120-121.

[4] زينب شاكر أبن رشد ومدينة الفاضلة عدد 588 مجلة العربي وزارة الإلمام الكويت ،2007 ، ص93-94.

[5] فرح أنطون ابن رشد وفلسفته ط2 ، جزائر ، دار الغرابي ،2001 ، ص134-135.

هذا الجزء الأخير الذي كان يمثل ظلم عند ابن رشد كون رجال الدين كان لهم سلطة كبيرة عند الملوك والطغاة .

ويمكن القول بأن معظم فلاسفة العرب تناولوا الاستبداد والطغيان على غرار الماوردي 450هـ 1018م وإبن جماعة وابن جماعة 639هـ-1241 1832 وغيرهما إلا أن هناك إبن تميمية الذي غرد خارج السرب فهو يرى في لا متكلة أن يكون الحاكم طاغية ما دام يسعى لإقامة العدل وجعلها ذريعة لدفاعه عن المستبد فهو حسب نظره حكم مستبد أفضل من هيبته مالك وجب فرض الطاعة وقد جاء ابن تيمية بالأدوات التي تبرز ذلك من خلال أدوا إليهم الذي لهم فإن الله سائلهم كما اشرعهم [1]

ويضيف إبن تيمية على ضرورة طاعة الحاكم وتقديم الولاء حتى إن كان مستبدا ظالما فيقول ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان [2].

اظن من هنا استقى مستبدي العرب حكمهم وسلطتهم وطغيانهم على شعوبهم تنتقل للمفكرين الحركتين أمثال جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، الذين ربطا الاستبداد بالدين كونهما يمثلان التيار الديني .

-نبدأ بالأول فالأول جمال الدين الأفغاني 38 18 1897 يرى الأفغاني أن الاستبداد بسبب غياب القوانين التي تحد من سلطة المستبد حتى في وجود برلمانيين المشكلين من طرف الحاكم فهي تكرس لاستبداده لا إلا خدمة الشعب " و إلا فهو مجرد مظهر شكلي لا قيمة فعلية له " ويجيد إلى ربط المظهرية في تلك المجالس بتفرد الاستبداد الذي لا يشرك المحكومين في الحكم فينظم المستبد ولا يرجع إلا القانون بحكمه[3].

لقد سعى الأفغاني إلى محاربة الاستبداد فهو يرى فيه "العدو" الذي لا يجب الخلاص منه كونه عائق في سبيل الحرية و لا يخدم المحكومين ، ويدعو كذلك للثورة ضد هذا الاستبداد و المستبدين ، فهو يرى في الحكومة في الحكومة المستبدة بأنها تحمل كل موبقة و لا يجب الانتظار للتخلص منها ، ما يتناول المستبد عن الحكم و إما أن ينحى بالقوة[4] .

---

[1] تقي الدين ابن تيمية السياسية في اصلاح الراعي والراعية مصدر دار هلال ، ص32.

[2] نفس مرجع ، ص153.

[3] محمد طحان ، ماهية الاستبداد مجلة النهج عدد ففي 1999 ، ص27.

[4] محمد رجب البيومي من جمال دين الأهالي ومحمد عبده الشرق ومستبدي العادل ، مجلة هلال ، 108ّ ، ص44.

-يقابله محمد عبده 1849 1905 الذي يرى في الاستبداد نوعان و حاول الفصل بينهما : أول استبداد عادي و الثاني استبداد مطلق حاول تقبل الأول ورفض الثاني من خلال قوله: " إن الاستبداد المطلق ممنوع منابذ لحكمة الله في تشرع الشرائع[1] " ويشرح ذلك في نمطين الأول : تصرف الواحد في الكل على وجه الإطلاق و الإرادة إن شاء وافق الشرع و القانون و إن شاء خالفهما ، فيكون إتباع نظام مفروض إليه وحده ، إن أراد قام به وإن لم يرد لا يؤخذ عليه وهذا هو الاستبداد المطلق والثاني و هو ما يتهاون معه حيث يرى فيه استغلال الحاكم على تنفيذ القانون المرسوم و المشرع المسنون بعد التحقق من موقفهما على قدر الإمكان و هذا بالحقيقة لا يسمى استبدادا إلا على ضرب من تساهل في عرف السياسيين توجد السلطة المنفذة [2]

-و كخطوة لإزالة الاستبداد المطلق كما يرى على أن المحكومين بحاجة إلى تكوين رأي عام يستحق الحياة السياسية الحرة و حتى يتم الوصول إلى تلك المرحلة فهو يقبل بما يمكن تسمية بالمستبد العادل [3].

**-المبحث الثالث: أنواع الاستبداد**

-الاستبداد موضوع شائك ومتشعب جعل من فلاسفة يحددونه في أصناف و أنواع في كتابتهم، و سنتطرق إلى أهم أنواع الاستبداد.

**1- الاستبداد الفكري**

-وقبل البدء في شرح هذا المفهوم يجدر بنا إلى الإشارة إلى مفهوم الفكر و تعدد المسائل التي يطويها بين جناحيه من غير أن يعد ذلك نشوزا عن سياقه العام.

-الفكر ليس فعل مادي يحدث في زمكان بفعل فاعل يؤثر في مفعول تأثير مادي ، إنه فعل ذهني يتحرك في المعقولات أو هو المعقولات إذ أردنا التدليل عن الموضوع الذي تفكر فيه النفس ، إذا التفكير هو إعمال العقل و استخدامه في البحث في الأشياء و محاولة " الوصول

[1] محمد عبد والأعمال العاملة الامام محمد عبده ، تحقيق محمد عمارة ، ج1 ، الكتابات سياسية في الفتوى والاستبداد ، ط1 ، بيروت المؤسسة للدراسات والنشر ،1982 ، ص350.

[2] نفس المرجع ، ص56.

[3] محمد سوسي ، مرجع نفسه ، ص50-51.

إلى معرفة الأشياء و أصولها و يطلق هذا المفهوم على الظواهر المتعلقة بالحياة العقلية من دون المادية فالتفكير إذا يبحث في الأشياء المعنوية لا المادية.

-فإذا كان الدين في جانبه الروحي عقائد و مشاعر أي جملة من الاعتقادات والإدراكات وكان العلم إدراكا يتفق الناس في الحكم على مسائله إسنادا إلى العلاقات الموضوعية يكشف عنها تدريجيا و كانت التربية هي التنمية الشخصية عن طريق تعليم الإنسان كيفية إستخدام ملكاته أفضل استخدام.

-يندرج كل الادراكات تحث سقف واحد هو حركة الفكر و العمل الفكري أي كل هذه الظواهر أعمال فكرية بحتة نابعة من العقل ويجمع هذه المسائل التفكير في هذا العمل على الأقل[1].

**2- الاستبداد الإقتصادي**

1. قد لا يخفى على أحد أن سلطة رأس المال بحيث يمكن يمكن لمجموعة ما أن تستغل المجتمع عن طريق الاستبداد بالمال و الثروة حيث يقوم الأثرياء بشراء حياة الفقراء وذممهم عن طريق إرباكهم الدائم الخارجي الضار وراء لقمة العيش ، هذا الذي أشار إليه الكثير من مفكرين التاسع عشر و لاسيما كارل ماكس

2. ولا نرى أننا نبالي إذا قلنا أن الاستبداد الإقتصادي يحجب التفكير مما يجعل الإنسان عبد يبقى تحت الإستعباد المقنع.

3. إن الفقر الذي يلاحظ القصور من حلوله وهو لا يملك قوت لنفسه يتألم من هذا التفاوت الكبير بينه وبين من سواه في تحصيل المال ، رغم أن هذا الفقير يعمل أكثر من الغني، إن هذا التفاوت لا يقتصر خلقه على فئة متخمة بالثراء بل تعتمده أيضا السلطة السياسية لذلك تميزا للاستبداديين و توضيحا للاستبداد المالي الذي تصنعه أجهزة الحكم فإننا نسميه الاستغلال كون أن فئة الأثرياء تقوم باستغلال الطبقة العامة من كادحين سلطة المال[2].

**3-الاستبداد السياسي**

[1] جمال طحان ، مرجع سابق ،ص 56.

[2] جمال طحان ، مرجع سابق ، ص57.

1. قبل البحث فيه يجدر الإشارة إلى أن تلك الإستبدادات سابقة الذكر ( الفكرية ،الاقتصادية ) رغم أن لها تأثير كبير في المجتمع و تكرس الاستبداد بكل أنواعه كما أنها تمهد للاستبداد السياسي أي أنكل أنواع الاستبداد يؤثر بها الاستبداد السياسي و تدعمه إلا أنها لا تملك السلطة التنفيذية إلا بقدر ما يسمح به الاستبداد السياسي أي أن كل أنواع الاستبداد يؤثر بها الاستبداد السياسي فمن يمتلك السياسة يمتلك كل الأشياء لأن المؤسسات في الحكم الاستبدادي ما هي إلا تابع يدخل ضمن نطاق التنظيم الذي تسيطر عليه الحكومة ثم الاستغلال الاقتصادي و الاستلاب النفسي ( الاستبداد الفكري ،الاستبداد الاقتصادي) نتاج وضع لسلطة السياسية التي تملك القوة و تسعى لسيطرة على إمكانية الدولة كلها ( ومن كانت الحكومة هي صاحبة العمل و صاحبة العمل وصاحبة السلعة فإن الذي يخالفها يقاطع موارد الرزق و يتعرض للجوع و الانتقام على يد القانون) [1] ، فالسلطة المستبدة تسعى إلى حماية استبداد عن طريق جمع القوات كلها في قبضة يد واحدة ، الفكر ، المال ، السلطة العسكرية المعنى هنا كل أفراد و الجماعات في مكان ما هي التي تضع و تسمح للحكومة بوضع تميزات طبقية ( تميز طبقي ) النخبوية على شكل قانون يحمي القوي من الضعيف الذي قد ينفجر في أي لحظة.

[1] جمال طحان ، مرجع سابق ، ص57-58.

# الفصل الثاني

# نظرية الاستبداد

# عند الكواكبي

**المبحث الأول: نشأة الكواكبي**

– **حياته:** إذ أردنا أن نتكلم على سيرة الكواكبي فلا بد لنا أن نعرف المدينة التي نمته وأنشأته وتعرف من تاريخها وأحوالها أين تقع وبما تتسم وأين يكمن الفضل في نشأة الكواكبي و تفكيره و الاتجاه به إلى وجهة حياته.

نشأ عبد الرحمن الكواكبي في مدينة عربية عريقة هي حلب الشهباء و قد عرفت المدينة باسمها هذا مع بعض التصحيف منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فورد اسمها في أخبار رمسيس الأكبر وورد بين أخبار حواربي في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وورد في أخبار شلمنصر (858 – 823 ) ،وورد خلال هذه القرون في الكثير من الحفريات والاثار التي تتصل بتواريخ الحثين و العمالقة من الشمال إلى الجنوب، حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء ، صحيحة الماء تتميز بكونها من إحدى المدن التاريخية بين مدن الشرق العربي القريب هي مدينة لقيت من يخدمون تاريخها من أبناءها و النازلين بها من العرب و غير العرب.

فكتبوا عن حوادثها و عهودها و معالمها و أعلامها و طبيعة إقليمها و خيرات أرضها ما لم يتفق نظيره لغير القليل من مدن العالم القديم و لم يفته شيء فات المؤرخين الأقدمين أن ينظروا إليه على عادتهم في تسجيلاتهمم و محفوظاتهم عن كل مدينة و كل زمن فليس على المؤرخ سوى الحديث بالتفسير و التقدير و الإخبار بوصف المدينة و إتمام الرواية.

وما انتابني من فضول لمعرفة حلب إلا أنني أردت أن أعرف الكواكبي غاية المعرفة من العلم بمواطنه و ماضيه[1].

ولد عبد الرحمن بن أحد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي بحلب في 23 شوال سنة (1271 – 1855 ) لأسرة عربية قديمة في حلب ، قيل إن جذورها تمتد من جهة الأب إلى علي بن أبي طالب و تمتد من جهة الأم عفيفة بنت مسعود أل نقيب إلى محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام حسين الشهيد ، فهو من سلالة كردية تفرعت أصولها زمان بين ديار بكر و أورقة مرعش فمنهم من يلبس العمامة الخضراء كما يلبس

[1] عباس محمود العقاد / الرحالة كاف عبد الرحمن الكواكبي ، دار النشر الجامعات المصرية علاء الدين وشركاء الشركة قومية للأسهم ، شارع شريف بالقاهرة ، 11 نوفمبر 1959 ص 13.

الطربوش العثماني و القلشوة الكردية فله الشرف انتمائه لسلالة الأكراد بحيث لهم قصة طويلة عن اتصالهم بالصاهرة بمن جاورهم من آل البيت في مدن الإيالة مع إرتباك العلاقة يومئذ بين الديار الكردية و عواصم الإيالات العثمانية تارة إلى حلب تارة إلى العراق و ينتسب إلى طائفة لابسي العمامة الخضراء أسرة أسوانية أخرى مضى على وفود كبرها من موطنة أكثر من مائة سنة فهو من أتباع الطرق الصوفية التي تتشعب فروعها البلاد العربية و التركية ، وقد وفد العسكريون و المدنيون من أصحاب هذه العمائم إلى الصعيد بعد ثورات دامية في ولاية حلب على ولاتهم الترك الذين أجلاهم جيش إبراهيم باشا عن الولاية ، فلما أعيدت هذه الولاية إلى الدولة التركية تعذر مقامهم فيها فعادوا مع الجيوش المصرية و أقيم بعضهم في الصعيد و بعضهم في السودان.[1]

ولعل عبد الرحمن الكواكبي الذي ولد بعد هذه الحوادث بسنوات قلائل كان يتحدث في صباه بحديث واحد عن نقابة الأشراف التي إدّعاها غير أهلها في القسنطينة ، وعن حكام الترك الذين انتزعوا مناصب أبناء الوطن في الديار الكردية و هذا الحديث الذي ردده هؤلاء المهاجرون الحريصون على شارتهم و شارة أهاليهم في بلادهم.

ولو أن إنسانا يختار لنفسه رسالته و مولده لما كان عين الاختيار أن يولد عبد الرحمن في هذه المدينة وسط هذه الحوادث و كان له أصلح رسالة نهض بها من مدينة حلب مدينة تتصل بالحوادث و الحوادث تتصل بها.

في سنة 1276 هـ 1859 م توفيت والدته و هو في الخامسة من عمره فكفلته خالته صفية ال نقيب و اصطحبته إلى أنطاكيا و هناك تعلم القراءة و الكتابة و التركية و حفظ شيئا من القران الكريم ثم عاد إلى حلب و أكمل تعليمه مع شيء من الفارسية مدة عام تقريبا و انتقل بعدها إلى انطاكيا مرة أخرى لدراسة العلوم ثم استقر في حلب سنة 1282 هـ – 1875 م فدخل المدرسة الكواكبية التي كانت تتبع منهج الأزهر في الدراسة و كان أبوه مديرا لها ، وهناك تابع دروسه في الشريعة و الأدب و الفارسية.

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، د/ جمال طحان أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية أول ، دار نشر ،الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة السادسة ، ص17.

كما درس بعض علوم الطبيعة و الرياضة ، لكنه لم يكتف بذلك و انشغل يتعلم من علوم السياسة و المجتمع و التاريخ و الفلسفة ، كما أنه اهتم بالقانون بوجه خاص حتى إنه درس قوانين الدولة العثمانية درسا دقيقا بل كاد يحفظها وكان له انتقادات عليها تدل على دقة نظره في الحقوق و الشرائع و هذه المعرفة القانونية تفسر لماذا تم تعيينه في بعض الوظائف الرسمية ذات الصفة القانونية ، أول عمل إشتغله عام 1872.

-عمل محررا بجريدة رسمية كانت تصدر بمدينة حلب باللغتين العربية و التركية تسمى 'فرات' و استمر فيها أربعة أعوام ثم انتقل في 1877 إلى جريدته الشهباء و تعتبر أول جريدة أهلية ناطقة باللغة العربية تصدر في حلب وكان إصدارها بنفقته الخاصة نظرا لإيمانه بدور الصحافة في تحقيق النهضة ، صدر من شهباء ستة عشر عددا و بسبب إصرار الكواكبي على إنتقاد السياسات و الممارسات الحكومية تم إيقاف الشهباء مرتين و ذلك راجعا إلى والي حلب إنه قام بتعطيل الجيدة لستة أشهر تأديبا لصاحبها على قيامه بنشر أخبار مسيئة للدولة و ما إن عاودت الصدور العدد السادس عشر حتى توقفت مجددا بشكل نهائي هذه المرة بسبب المنحنى النقدي للجريدة التي لم تلتزم بمبدأ عدم إنتقاد السياسات العثمانية التي خسرت حربها ضد روسيا ولم يعد من المقبول الصمت عن الفساد المتجسد في جميع ميادين الدولة و الذي بات يهدد كيانها.[1]

لم يستسلم الكواكبي سرعان ما حصل على صحيفة جديدة عام 1879 باسم شريف زاده سعيد المسماة إعتدال والي كانت تصدر بلغتين العربية و التركية لكن مع الأسف سرعان ما توقفت كاسابقتها يعد صدور عشرة أعداد منها و هذا ما يجعلنا نستنتج أن للكواكبي تأثير كبير على السلطات .

والى جوار هذه الأعمال الصحفية اشتغل الكواكبي بأشغال حكومية ذات طبيعة إدارية و تجارية و قضائية ، عين لها من طرف السلطات في لجنة المقاولات و الإشعال العامة و كان أبرز مناصبه رئيس بلدية حلب و رئيس المصرف الزراعي ورئيس غرفة التجارة بالمدينة ، ورئيس كتاب المحكمة الشرعية و لهذا نظرا لإخلاصه و حرصه على المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه فخرية أي بدون راتب بل وقد أنفق عليها من ماله الخاص كما فعل في وظيفة

[1] السيد العربي ، عبد الرحمن الكواكب ،أم العرب وهو ضبط مفاوضات ومقررات ، مؤتمر النهضة ، مرجع سبق ذكره ، ص24-29-32.

رئاسة المحكمة الشرعية حيث قام بتغيير أثاثها الذي بلي وتمزق فاضطر إلى تجديدها من منزله.

والمثير للاهتمام هو هذا التقلب السريع في الوظائف الحكومية الذي يعبر عن عدم قدرة الكواكبي على التكيف أو التأقلم مع مؤسسات الدولة الاستبدادية من جهة و رغبة الدولة في ترويضه و إحتواءه من جهة أخرى وأي ما كان الحال فإن هذا الانقلاب هو الذي جعله يحتك بالواقع العملي و أشعل عقله أفكارا ليؤسس إلى نظرية الاستبداد على أساس واقعية ، ومن هنا نستخلص أن نهج الكواكبي في جميع مناصب التي اشتغلها هو السعي للإصلاح[1].

في السنوات المتبقية من عمره انتقل الكواكبي إلى مصر خشية على حياته و باحثا عن الحرية بعدما هددت السلطات العثمانية استقراره في وطنه و قامت بصادرة أمواله ، و ما إن وصل مصر نشر بعض المقالات في الصحيفة المصرية فلفت الانتباه من شدة جرأة أفكاره و موضوعاتها الغير معهودة في الطرح ، إضافة إلى العمق في التناول و التفرد في الأسلوب حيث سرعان ما اشتهرت مجلة الهلال لكن الشهرة و العظمة لا يجتمعان و توفي المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي الحلبي في مصر 8 ربيع الأول 1320 هـ /1902 فيفري حيث ما كان برفقته صديقيه الشيخ صالح عيسى و عبد القادر الدباغ يحتسيان القهوة في أحد مقاهي القاهرة لم يكد ينهي قهوته حتى شعر بالام حادة و بعدها بساعات قليلة و لم يشاع خبر وفاته إلا بعدما حصلت السلطات العثمانية على جميع أوراقه و المصادرة عليها . ويقال أن كتابيه الذين لم ينشرهما "صحائف قريش" و "العظمة الله " ففي حينئذ و لم يعثر عليها بعد رغم ذلك قد برز اسمه كمفكر إصلاحي و يعود الفضل إلى مصر الذي قامت بعد فترة قصيرة بإعادة طبغ مؤلفيه بشكل متكرر ، وحين وفاته حزن الأدباء و المفكرين عليه من مختلف التوجهات الفكرية و الدينية الذي يستحيل تجمعهم على عزاء الفقيد الذي لم يكن يوما متعصبا بل كان يأنس المسلم و المسيحي و اليهودي على سواء و يرى رابطة الوطن كل رابطة فما من كلمات توصف لنا توافق شخصه و مكانته الفكرية.[2]

[1] مرجع سابق ، السيد الغراتي أم القرى

[2] مرجع سبق ذكره

**2-مؤلفاته:**

يتوزع الإنتاج الفكري للكواكبي على ثلاث فئات رئيسية فهناك

**أولا:** مقالاته التي نشرها في الجرائد التي شارك في تحريرها وهي الفرات، الشهباء ، الاعتدال و مقالاته التي نشرها في صحف المؤيد و القاهرة و العمران كما نشرت له مجلة المنار مقالا بعد وفاته بعنوان " تجارة الرقيق و أحكامه في الإسلام" أما فيما يخص كتبه هناك كتاباه الخالدان " أم القرى " و " طبائع الاستبداد".

**ثانيا :** أم القرى و عنوانه كاملا كما هو مدون على غلاف النسخ الأولى أم القرى ....أي ضبط مفاوضات و مقررات مؤتمر النهضة الإسلامية و الذي إنعقد سنة 316 بمكة المكرمة لمؤلفته السيد الفراتي وقد صدر للمرة الأولى في مصر عام 1898في 148 صفحة ثم قام الكواكبي بنشره على هيئة مقالات في صحيفة المؤيد 1899/1317 م وجوهرها تضمن سطور هذا الكتاب هو أسباب فشل الأمة الإسلامية و عوامل شفاءها.

**ثالثا :** طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد صدر الكتاب في النصف الثاني من القرن 19 وكان من أهم سمات هذه الفترة المعاناة الكبيرة التي لاقتها الشعوب العربية من الاستبداد و الاستعمار و اغتصاب أراضيها و ثراواتها لهذا اهتم الكواكب بالحديث عن الاستبداد على إثر هذه الفترة و تناول أسبابه و العوامل المساعدة عليه وقد شرع الكواكبي في نشره على هيئة مقالات بجريدة المؤيد خلال عام 1900 و 1902 تحت اسم مستعار هو الرحالة كاف و أخذ يضيف إليها إلى أن أصدرها على هيئة كتاب وطبع بمطبعة التوفيق بمصر وبلغ عدد صفحاته 152 صفحة و هناك طبعة أخرى صادرة للكتاب بالقاهرة عام 1931 عن المطبعة الرحمانية و المكتبة التجارية الكبرى و تقع في 16 صفحة[1].

**3- حركته النضالية**

يعتبر عبد الرحمن الكواكبي كوكب مضيء في فضاء المفكرين المصلحين في العالم العربي الإسلامي بحيث تطور الفكر الإصلاحي عنده في (132-1271 هـ ) -1855

[1] الفراتي عبد الرحمن الكواكبي ،أم القرى وهو ضبط مفاوضات ومقررات ، مرجع سبق ذكره ، مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة المكرمة سنة 1317 هـ ، فاطمة حافظ ، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ،1435 هـ -2014 م ، ص32-33-34 بتصرف .

1902 م في مرحلتين أساسيتين بينهما ترابط واتصال من جهة وافتراق في المكان والزمان من جهة أخرى وهما مرحلتان التي أعتنى الكتاب والباحثون لدراستهما والتوقف عندهما باهتمام فما في مطلع القرن التاسع عشر تبين أن العالم العربي الإسلامي يعيش مشكلا عضاريا كانت لحظة قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر 1798[1] .

هذا ما فرض تحديا أساسيا متعلقا بكيفية النهوض مجددا والالتحاق بالغرب الذي سبقنا أشواطا في سباق الحضارة وقد إعتلفت أشكال التحدي فتوزعت التيارات الفكرية في العالم الإسلامي إلى ثلاث تيارات رئيسية منها التيار السلفي الذي رأى أن السبيل الوحيد لخروج من هذه الأزمة هو التشبث بالتراث ومقولاته وتنقية العقيدة والممارسات الإسلامية من التحريفات وتركز هذا التيار في شبه الجزيرة العربية واليمن وتيار ثاني مضاد لتيار السلفي والذي تشكل على يد المفكرين المسيحيين الضوا وبعض المصريين ويرى أن محاكاة الغرب والأخذ منهم هو النهج الوحيد لتجاوز المأزق وبين هذا وذلك برز تيار ثالث أوسع عرف فيما يعد بإسم التيار الإصلاحي وأستند إلى القيم والمفاهيم الإسلامية [2].

واستقر التيار الإصلاحي الإسلامي على نتيجة مهمة مفادها تبرئة الإسلام من تهمة وقوفه وراء التأخر الذي يذهب إليه المسلمون والقاسم المشترك الأكبر الإصلاحيين أن هذا التأخر يمكن في الظروف السياسية البيئة واحتلال الأجنبي للقسم الأكبر من بلدان العالم الإسلامي والقسم الثاني تحت حدة الاستبداد الداخلي كما يمكن بتحريف الذي لحق بالعقيدة الإسلامية مع شيوع الجهل وسيطرة المتصوفة والمبتدعين على أفئدة وعقول البسطاء وهذا ما حدد أهم القضايا التي كان على رواد الإصلاح الإشتغال عليها وتصنيفها في ثلاث فئات من القضايا الفئة الأولى وشملت القضايا ذات صفة سياسية بجمع تفرعاتها وتشكيلاتها مثل قضية الاستبداد والحرية وكيفية الموا بين التشريعات الحديثة والتشريع الإسلامي وإلى غير ذلك الفئة الثانية تضمنت قضايا الإصلاح الديني والقيام بتقنية العقيدة ومحاربة التصوف البدعي

[1] زكي علي العوض ، حركة الإصلاح في العصر الحديث عبد الرحمن الكواكبي أنموذجا ، دار الرازي ، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م ، ص360.

[2] السيد القراتي ، عبد الرحمن الكواكبي ،أم القرى وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة مكرمة 17 هـ –فاطمة حافظ ، دار الكتاب مصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، طبعة الأولى 1435 هـ - 2014 م ، ص40.

وتصحيح الممارسات الإسلامية وبعث قضية الإجتهاد وذم التقليد والسعي إلى تحقيق انسجام بين المبادئ الإسلامية وقيم العصر

الفئة الثالثة مثلت العلاقة المركبة والمتشابكة مع والنظر إلى الغرب من زاويتين مختلفتين الأولى بوصفه غازيا محتلا ينبغي ضده ومواجهته والثانية بوصفه ناهضا حضاريا يتوجب محاكاة أو على الأقل فهم ملابساته ودواعي نهوضه وتقدمه .

وهذه القضايا الثلاث كانت محل الاشتغال الكواكبي وقد شكلت قضايا الإصلاح الديني والقضايا السياسية جزءا أكبر في مشروعه الفكري أما فيما يخص إشكالية العلاقة مع الغرب لم يخصص لها مبحث خاص مستقل إلا أنها كانت هي الفرضية التي إنطلق منها معالجته لمشكلة النهضة في كتابيه أم القرى وطبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد[1] .

ومنه فإن الاستبداد بإسم الدين أو العلم أو التربية يدخل في نطاق الاستبداد الفكري بحيث يتحكم في عقول الناس عن طريق سلطة الإعلام وسلطة البحث والتربية والتعليم ومالكي سلطة الإرشاد الديني ولكن ( عدم التسامح يبلغ أوجه مع نظم الديكتاتورية القائمة على عوامل تقنية حيث تتبنى فئة صغيرة حاكمة مذهب معين هو ضد تفكير مجموعة المواطنين).

إن هذا النوع من الاستبداد غالبا ما تمارسه الفئة الحاكمة بحيث تسعى إلى سيطرة على المواطنين من خلال توجيه التفكير مع ذلك قد تقوم به أي مؤسسة أخرى خارج مؤسسة السياسية كالأسرة مثلا لذلك تفضل أن نطلق عليه كلمة استلاب كونه يسلب العقول تميزا له من المصدر الأساسي للاستبداد.

**المبحث الثاني: الاستبداد وأثره على الميادين الأخرى**

- **الاستبداد السياسي:**

لقد عاصر الكواكبي فترة زمنية صعبة على الأمة الإسلامية وعلى الشعوب العربية ،أقل ما يقال عنها فترة الإنحطاط فقد كانت كل الجوانب هشة ( الاجتماعية ، الاقتصادية ، الدينية ، السياسية...)ولم تكن هناك أي بوادر للإصلاح إلا من خلال قلة من المفكرين عكفوا على

[1] السيد الفراتي ، عبد الرحمن الكواكبي ،أم القرى وهو ضبط مفاوضات ومقررات ، مرجع سبق ذكره ، مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة مكرمة ، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب البياني ، بيروت الأولى ،1435 هـ-2014م ، ص44-45.

دراسة الأوضاع وهو ما عرف بحركة الإصلاح وإن كان إهتم الأفغاني ومحمد عبدو بالجانب الديني وحاولوا تقويم الفكر الديني ومحاربة التطرق ومجاجهة المد المسيحي الذي ما بزع يغزو والعالم العربي في كل الجهات فإن عبد الرحمن الكواكبي كانت له نظرة أخرى غير تلك التي عند الأفغاني وعبدو فهو رأى مشكلة المجتمعات العربية هي مشكل سياسي بحت ، مشكل حكام وحكومات فمن كان يحكمهم لا يصلح حسب للحكم بل هو السب في ما آلت إليه الأوضاع لذلك صب كل عمره وفكره في الاتجاه السياسي فهو حسب الداء الذي أصاب الأمة فيقول : تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي [1]فصار الداء أو المشكل السياسي الشغل الشاغل الذي عكف عليه محاولا دراسته وتحليله فما تأخر المسلمين حسبه إلا بسبب تدهور الوضع السياسي وضعف السياسية إن سبب الفتور هو تحول نوع السياسية الإسلامية [2].

محاولا إعطاء أكبر أهمية هذا الجانب لماله من خطورة على الإسلام والمسلمين.

إن المطلع على كتابات وكتب الكواكبي يفهم منه بأن المقصود بالاستبداد هو الاستبداد السياسي فقط ، فالاستبداد حسبه هو ما ارتبط بالساسة والحكومات فيراد به عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأن مظاهر أضراره التي تجعل الإنسان أشقى ذوي الحياة ، وأما تحكم النفس على العقل وتحكم الأب والأستاذ والزوج ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات فيوصف الاستبداد [3] .

فيرى الكواكبي أن الاستبداد هو ما إرتبط بالحكومات والدول فهم وحدهم ما لهم السلطة والقدرة على الاستبداد والطغيان إلى درجة إستعباد الناس عدا ذلك من أنواع الاستبداد هو مجرد تحكم في الأشخاص لا يرتقي أن يكون الاستبداد بل يطلق عليه مجازا.

وإذا كان علم أوفن السياسة وإدارة الشؤون المشتركة بمقتضى الحكمة ، فإن الاستبداد حسب الكواكبي هو إدارة الشؤون المشتركة الهوى [4].

---

[1] مرجع سابق ، طبائع الاستبداد ، ص13.

[2] أم القرى ، ص29.

[3] طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص11.

[4] نفس المرجع، ص18.

هذا هو الاختلاف الوحيد بين علم السياسة والاستبداد فالسياسة تقوم على إدارة شؤنها بحكمة وتعقل ومشاركة الأفراد أما الاستبداد هو خلاف ذلك تماما فهو استعمال العوى والتهور في التسيير دون مشاركة الرعية أو استشارتهم .

يعرف الكواكبي الاستبداد هو تصرف الفرد أو الجماعة في حقوق القوم بالمشيئة وبلا خوف وقد تطرق مرادفات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعملون في مقام كلمة الإستبداد كلمة إستعباد إعتساف تسلط تحكم [1].

وهنا نجد أن الكواكبي لا يأبه لأن كان المستبد فرد أو جماعة ما دام الفعل هو الاستبداد بحق الشعب غير أن البارز في الاستبداد والمتفق عليه فيه سواء كان من طرف فرد واحد مستبد أو سلطة جماعة مستبدة هو غياب القوانين وعدم الخضوع لها من طرف المستبدين وعدم تطبيقها فهؤلاء غالبا ما يكونون خارج الأطرو دائرة القانون ( لا يخضعون لسلطة القانون) وعلى ذكر الحكومات المستبدة فإنها نوعان حكومة الفرد أو الديكتاتور وحكومة الجماعة الدستورية وهذا أسلفنا ذكره في الفصل الأول ، غير أن حكومة تكون غالبا الأكثر استبدادا من الحكومة الدستورية الجماعية إذ يقول الكواكبي في هذا الصدد " أن الحكومة الفرد المطلق الوارث للعرش القائد للجيش الحائز على السلطة الدينية ولنا أن نقول كل ما قل وصف من هذه الأوصاف قل الاستبداد"[2]هنا تلخصت قمة الإستبداد والتسلط فإن كان الحاكم فردا وليس جماعة فيستبد بأرآءه أكثر مما تستبد الجماعة وإن كان وراثا يكون أكثر استبداد من المنتخبين لأنه ينظر أن الملك هو له بالوراثة حتى إن لم يكن أهل له إضافة إلى أن الحكم في الجيش والدين هما جناحا السلطة التي يتحكم من خلالهما المستبد أكثر ويزيد إستبداده فما اللذان يرسخان لسلطة أكثر ؛

باستعمال التهديد والقوة، في حين كلما قل صفة من هذه الصفات ( حكم الفرد المطلق الوارث للعرش، الجيش ، الحائر على السلطة الدينية ، قلّ استبداد ، الحاكم) هذا بالمختصر نظرة الكواكبي لمفهوم الاستبداد السياسي ولنا نظرة في بعض أقوال الحكماء حول الاستبداد السياسي.

[1] طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص11.

[2] نفس المرجع ، ص22-23.

" المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادتهم ويحكمهم بهواه لا بشر يعتهم ، ويعلم من نفسه أنه الغاصب متعدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته [1]"

لقد أدرك الكواكبي خطورة الاستبداد والمستبدين على الدول وعلى الدول الإسلامية خاصة فهو يرى بأن الاستبداد لا يؤسس دول ولا بينهما بل هو سبب دمارها وخرابها فحسبه أنّ لم يشهد العالم يوما حكومة استبدادية دامت كثيرا، وما سبب زوال تلك الحكومات حسب الكواكبي دائما إلا أنها صارت مستبدة بالحكم لذلك حاول الكواكبي الإحاطة بعلوم السياسة حتى صارت هذه الأخيرة إلى أن تكون من اختصاصه بين دراسات عصره ، فلقد شغل كل وقته وحب كل فكره في هذا الموضوع محاولا أن يتناول الاستبداد باستفاضة

وإن كان للاستبداد هذه الخطوة البالغة حسب عبد الرحمن الكواكبي فهذا راجع لمدى تأثير وتأثر السياسية بالحياة العامة لأن السياسية هي عجب الحياة وصلاحها يصلح المجتمع فحين فسادها يفسده لأنها تمس كل المجالات دون استثناء

والاستبداد هو مرض السياسية وهو المرض هو الذي ينخر الدولة وينشر الداء في أهم عناصر الدولة وعصبها وستعرض بعض أثر الاستبداد حسب الكواكبي التي يمسها هذا المرض الخبيث والتي من خلالها يسدل المستبد على السلطة ويبسط حكمه على الشعب

**أثر الاستبداد الديني :**

لقد تضافرت أراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني فهو يرتبط إرتباط وثيقا بالدين ويقول البعض منهم أن الاستبداد الديني والسياسي إن لم يكن هناك توليد بينهما فهما أخوان أبوهما التغلب وأمهما الرياسة أو هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون بتذليل الإنسان والمشاكلة بينهما أنهما حكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في مملكة القلوب [2]

فالمستبد أو الاستبداد السياسي يقوم في حكمه على استخدام الدين في جلد وحكم الرعية لأن الدين يمثل سلطة عليها على الطبقة العامة فهو الخط الأحمر بالنسبة لشعب لذلك يعمد

[1] طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص1

[2] طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص21.

المستبد على إحاطة نفسه بأئمة البلاط والدعاة ورجال الدين فلاحظ الكواكبي كيف عمد فقهاء الاستبداد بناءا على توجيه المستبد السياسي إلى تعريف معاني الآيات فتترجم الآيات إلى تأويلات تخدم مصالحه كالآيات التي تحث على الحرية فيكون تفسير هم تفسيرا فيه مغالطة كبيرة وذلك بمساعدة المستبدين فيكونوا عون للأمراء في طغيانهم، إذا استغلوا الدين لإخفاء الشرعية على الإستبداد من خلال فرض المعنى الذي سيناسب السياسة الاستبدادية[1] .

كأن يفسر رجال الدين على أن العدل هو يراه الملك عادلا وليس ماأقره الشرع وعلى أن الشورى هي أن يستشير الحاكم من يشاء ويرضى ، وأوجبو طاعة أولي الأمر بعد أن طمسوا حقيقة ما يقصد إليه القرآن بأولى الأمر وجعلوا المعنى حمد الحاكم إذا أصاب وعدل ، والصبر عليه إن جار وظلم وتغاضوا عن عد الملك الظالم فلقد غطى الفقهاء الاستبداد بتأويل لا يتفق مع الدين الصحيح ، وذلك من خلال محاولاتهم استخراج أصل الممارسة السياسية القائمة من النص الديني بالتزييف والتحريف " وهكذا غيرو مفهوم اللغة العربية ، وبدلوا الدين وطمسوا على العقول حتى جعلوا الناس ينسون لذة الاستقلال وعزة الحرية بل جعلوهم لا يعقلون كيف تحكم أمة نفسها بنفسها دون سلطان قاهر" وعلى مر الزمان لم يبقى من الدين إلا التفسيرات التي لم تكن في حقيقتها سوى تأويلات لا تمت إلى تعاليم الدين بصلة، ومن هذه الملاحظة يقرر الكواكبي " اللهم إن المستبدين وشركاءهم قد جعلوا دينك غير الدين الذي أنزلت" .

فقد سطا عليه المستبدون وإتخذوه وسيلة لإجراء أهوائهم وتحقيق أغراضهم فضاعت معاني كثيرة من آيات القرآن الكريم بتخليل علماء الاستبداد زد إلى ذلك أراء المتصوفين المتزقة الذين روّجوا فكرة أنه " لا يكون الأمير الأعظم إلا وليا من أولياء الله ولا يأتي أمرا إلا بإلهام من الله " وذلك بغية مساعدة المستبد على الاستمرار في طغيانه لقاء أعطياته التي ينعم بها على أمثالهم من المنافقين[2]

وهذا النوع من تأثير الاستبداد في الدين نجده أيضا في القرون السابقة والحضارات الأولى إذا أن بعض المستبدين فيها وصلوا إلى درجة الغلو في استخدام الدين كرادع لرعيتهم حتى يقال : أنه ما من مستبد السياسي إلى الآن إلا ويتخذ صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه

[1] أم القرى ، مرجع سابق ، ص39.

[2] محمد جمال طحان الاستبداد وبدائله في الفكر العربي الحديث الكواكبي أنموذجا طبعة 3 ، ص129.

مقام ذي علاقة الله ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين بعينونه على ظلم الناس باسم الله وأقل ما يعنون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها البعض فتتهاتر قوة الأمة ويذهب ريحها فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ [1] .

إن الأثر والعلاقة بين الاستبداد السياسي والديني علاقة لا تنفك فأينما وجد الاستبداد السياسي وجد الاستبداد الديني فأحدهما يجر للآخر معا والعكس صحيح فيغياب أحدهما يغيب ويزول الآخر .

وكما يرى معظم المدققين السياسيين يرون أن السياسية والدين يمشيان متكفئين ويعتبرون إن إصلاح الدين هو أسهل وأقوى وأقرب طريق للإصلاح السياسي ، والفساد السياسي نابع من عدم تطبيق الدين وهذا ما يعمد إليه المستبد من صنع الحكماء من تفسير قسمي الألاء والأخلاق ومنع العلماء من استخراج مافيه من معان علمية أثبتها العلم على مر الزمان وذلك كله ليبقى التفسير مشوش الذي يحمي مصالحه سائدا [2].

إن هدف المستبد من بسط نفوذه على الدين والتحكم في رجال الدين والتلاعب بعقول الناس وتظليلهم عن الوعي الديني الأن هذا الأخير لا يناسب المستبدين كأن يعلم الناس أن لا يسادة ولا عبودية في الإسلام ولا ولاية فيه ومنه فإن المستبد يتلاعب بالدين ، ولا يكتفي الاستبداد بتشويه والتلاعب بالدين بل هو يجري عليه التعديلات كلما رأي مستجدا في سياسته يقتضي ذلك وفي كل الأحوال فإن المستبد يطلب من رعاياه أن يغيروا معتقداتهم وفق مستجدات السياسة الجديدة التي يرتئيها و" الاستبداد ريح صرصر فيه إعصار يجعل الناس كل ساعة في شأن وهو مفسد للدين في أهم قسميه ،أي الأخلاق ، وأما العبادات منه فلا يمسها لأنها تلائمه في الأكثر " .

إن الاستبداد يترك لناس أمر العبادات التي تتحول على مر الزمان ،إلى الاستبداد يترك لناس أمر العبادات التي تتحول على مر الزمان ، إلى مجرد عادات لا تفيد في تطهير نفس الإنسان لأنها حركات من غير إخلاص أو اعتقاد[3] ويمكن القول في الأخير أن الفساد الذي

[1] طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص24.

[2] محمد جمال صحان ، مرجع سابق ، ص 129-130.

[3] محمد جمال طحان ، مرجع سابق ، ص131.

يطرأ على الدين والتحريفات التي تطال في تأويله ناتجة عن الاستبداد السياسي إذا أن " إن التهاون في الدين أولا وأخرا ناشئ عن الاستبداد"[1].

**أثر الاستبداد في العلم:**

العلم سر تقدم الأمم لم تعرف يوما حضارة تقدمت وقامت دون علم فكل الحضارات على قدمها قامت بالعلم لذلك هو يشكل أهمية بالغة في تقدم الأمم خاصة في هذا الزمان فمن يمتلك العلم يمتلك كل شيء لذلك تسعى كل الدول إلى إكتساب العلم فالعلم هو القوة ، غير أن العلم يبث في المجتمعات الوعي والرقي والحرية هذا ما لا يتناسب مع المستبدين فالأمة المتعلمة يصعب حكمها من طرف المستبدين لأنها تكون واعية أكثر من الأمة الجاهلة فيسعى المستبد إلى تجهيل العوام وزرع الأمية فيه فالعوام هم قوته فمن خلالهم يحصل على حكمه وسلطته ، وتعلم العوام واكتسابهم للعلم لا يتناسب مع المستبد فينتج مما تقدم أن بين الاستبداد والعلم حربا حربا دائمة وطرادا مستمرا : يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في إطفاء نورها ، والطرفان يتجاذبان العوام ، ومن هم العوام ؟ هم أولئك الذين إذا جهلوا خاضوا وإذا خاضوا استسلموا ، كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا ومن قالوا فعلوا [2].

عن العلم ولا يقصد بالعلم هنا علوم اللغة واللسانيات فهي أكثر هزل وهذيان يضيع به الزمان ، فعلوم اللغة أكثرها أشعار وخطابات وقصص وروايات ، ولا يقصد أيضا بالعلوم الذي يخشاها المستبد بعلوم المادة .

لأن علماءها مادين يشترون بالمال ، بل إن المستبد ترتعد فرائصه من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية ، وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع ، والسياسة المدنية ، والتاريخ المفعول والخطابة الأدبية ، ونحو ذلك من العلوم التي اكبر النفوس وتوسيع العقول وتعرف الإنسان ما هي حقوقه وكم هو مغبون فيها ، وكيف الطلب ، وكيف النوال وكيف الحفظ وأخوف ما يخاف المستبد من أصحاب هذه العلوم المندفعين منهم الصالحين والمصلحين في نحو قوله تعالى : " أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[3] وفي قوله : " وما كان ربك ليهلك

---

[1] نفس المرجع ، ص132.

[2] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص46.

[3] القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية 105.

القرى بظلم وأهلها مصلحون"[1] وإن كان الاستبداد يفسرون مادة الصلاح والإصلاح بكثرة التعبد كما حولوا معنى مادة الفساد والإفساد : من تخريب نظام الله إلى التشوش على المستبدين"[2] ، فلمستبد يخشى كل الخشي العليا ، والمفكرين والفلاسفة لأن فكرهم يثير البصيرة للعوام فهم المرشدين لهم لذلك نجد في الغالب هذه الطبقة المضطهدة من المستفيدين وغالبا ما تكون في زنزانة السجون أو في مقاصل الإعدام .

كما يبغض المستبد العلم لنتائجه وذاته ،لأن للعلم سلطان أقوى من كل سلطان ، فلابد للمستبد من أن يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علما ولذلك لا يجب المستبد أن يرى وجه عالم عاقل يفوق عليه فكرا ، فإذ إضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار الغبي المتصاغر المتملق ، وعلى هذه القاعدة بنى ابن خلدون قوله " فاز المتملقون " وهذه طبيعة كل المتكبرين بل في غالب الناس ، وعليها مبنى ثنائهم على كل من يكون مسكينا خاملا لا يرجى لخير ولا شر [3]والخلاصة أن الاستبداد والعلم ضدان متغالبان فكل إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم ، وحصر الرعية في حالك الجهل والعلماء الحكماء الذين ينيسون أحيانا في مضايق صخور الاستبداد يسعون جهدهم في تنوير أفكار الناس والغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم وينكلون بهم فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة أحيارة وهذا أن كل الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وأكثر العلماء الأعلام والأدباء النبلا تقلبوا في البلاد وماتو غرباء[4].

**أثر الاستبداد في الأخلاق والتربية :**

1-**الأخلاق** : إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يقاس الإنسان بأخلاقه لا بماله ولا بعلمه فالإنسان يعرف بما يكتسب من أخلاق حميدة فهي وحدها الكفيلة بأن تؤسس إنسان سوي هذا الأخير هو الذي بإمكانه أن يؤسس مجتمع صالح ودولة صالحة يطبق فيها العدل وتضمن الحريات .

---

[1] القرآن الكريم ، سورة هود .

[2] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص4-45.

[3] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص45-46.

[4] مرجع نفسه ، ص50.

هنا يظهر دور الاستبداد في الأخلاق ولا نقصد هنا بالأخلاق الأخلاق الغير سوية بل يستهدف و يتصرف بالأخلاق الحميدة والحسنة فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها فالاستبداد إن كان لدى الإنسان كالعدل أو الصدق يسارع إلى أن يمحوها ويجعل بدلها الكذب والخيانة واللاعدل هكذا يقضي على الخصال الحميدة للإنسان ، فالاستبداد يفسد الأخلاق بإكثاره الأعوان المتمجدين وبما ينشره من ذعر بين مواطنيه وبالتفرقة والتباغض اللذين يزرعهما بين الناس حتى يجعل الإنسان [1] " حاقدا على قومه لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه وفا قدا حب وطنه ،لأنه غير آمن على الاستقرار فيه ويود لو إنتقل منه وضعيف الحب لعائلته ،لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها ، ومختل الثقة في صداقه أحبابه"[2].

لعل القارئ يتبادر في ذهنه ما دخل الاستبداد في الأخلاق إن كانت الأخلاق في نفوس الأشخاص، إن الأخلاق موجودة في الإنسان لكن مصدرها التعليم، فالطفل يربى على الأخلاق وإن كان التعليم والتربية والتنشئة متكفل بها الحكومة فهي من تضع مناهجها وهي من تقوم عليه فيقول الكواكبي " الأخلاق أثمار بذرها الوراثة وتربتها التربية ، وسقياها العلم والقائمون عليها هم رجال الحكومة ، بناء عليه تفعل السياسية في أخلاق البشر ما تفعله العناية في إنماء الشجر" [3] فإن كانت هذه الحكومة مستبدة فإنها تقوم على رعاية الأخلاق القبيحة تنشئ من خلالها أفراد فاسدين أخلاقيا .

أقوى ضابط الأخلاق النهي هن المنكر بالنصيحة والتوبيخ أي بحرص الأفراد على دراسة نظام الإجتماع وهذه الوضيفة عير مقدور عليها في عهد الاستبداد لغير ذوي المنعة من الغيورين وقليل ما هم ، وقليلا ما يفعلون وقليلا ما يفيد نهيهم ،لأنه لا يمكنهم توجيهه لغير المستضعفين اللذين لا يملكون ضررا ولا نفعا ، بل ولا يملكون من أنفسهم شيئا ، ولأنه ينحصر موضوع نهيهم فيما لا تخفى قباحته على أحد من الرذائل النفسية الشخصية فقط ، ومع ذلك فالجسور لا يرى ، بدأ من الاستثناء المخل للقواعد العامة كقوله : السرقة قبيحة إلا إذا كانت إسترداد منها والكذب حرام إلا للمظلوم والموظفون في عهد الاستبداد للوعظ والإرشاد يكونون مطلقا ، ولا أقوال غالبا من المنافقين الذين نالوا الوظيفة بالتملق ، وما أبعد هؤلاء عن

[1] مرجع سابق ، ض137.

[2] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص94

[3] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص97.

التأثير لأن النصح الذي لا إخلاص فيه هو بذر عقيم لا ينبت وأن نبت كان رياء كأصله ثم إن النصح لا يفيد شيئا إذا لم يصادق أذنا تتطلب سماعه لأن النصيحة وإن كانت عن إخلاص فهي لا تتجاوز حكم البذر الحي :إن ألقي في أرض صالحة نبت ، وأن ألقي في أرض قاحلة مات [1] وهكذا بنخر الاستبداد الأخلاق فيقتل كل فعل إنسان شريف يتسبب من خلاله في تشتيت المجتمع وإنحلاله وتحطيم كل القيود والأعراف الأخلاقية فيتعطل من خلاله دور المجامع في الحفاظ والإبقاء على الدولة التي يرغب بها الذي يتناسب مع الاستبداد والمستبدين فالحاكم المستبد دوما يرغب في الانحطاط الأخلاقي والانحلال الاجتماعي كي يستمر استبداده وسلطته .

2-**التربوي** : كل مولود يولد عن الفطرة وأبواه إما ينصرانه أو يهود أنه أو يمجسانه

فالطفل كالورقة البيضاء يكتب عليه ما يشاء فالمهندس ينشئ عليها مجسمات قد يرسم الرسام رسومات ويكتب الأديب قصص ورويات ويتركها الجاهل فارغة أو يملئها خربشات هكذا اتفعل التربية بالطفل فيصنع منه ما يرغب فيه ، فقد خلق الله في الإنسان استعداد لصلاح واستعداد للفساد ، فأبواه يصلحانه وأبواه يفسدانه أي أن التربية تربو بإستعداده جسما ونفسا وعقلا ،إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وقد سبق أن الاستبداد المشؤم يؤثر على الأجسام فيورثها الأسقام ، ويسطر على النفوس فيفسد الأخلاق ، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم ، بناء عليه تكون التربية والاستبداد عاملين متعاكسين في النتائج فكل ما تنبيه التربية مع ضعفها يهدمه الاستبداد بقوته [2] ، ولما كان لتربية أثر في تنشئه للأفراد منذ الصغر كان لها في الاستبداد دور إذا أن الاستبداد سعى في تأثير على التربية ، فالاستبداد يفسد التربية ، وإذا فسدت التربية فسدت الأمة ، كما أنه ليس في الأمة الأسيرة من يعني بالتربية ،لأن حالة عدم الإطمئنان التي يعيشها الأسرى تضعف في نفوسهم الغيرة على تحمل مشاق التربية ، وأبعد الناس عن التربية هم الفقراء ،لأنهم يعيشون واقع المعاناة في ألزم لزوميات حياتهم اليومية ، وهذا لا يعني أن الأغنياء لا يعانون من واقع الاستعباد إلا أنهم إلى حد ما يمارسون استبدادا ما على سواهم من المعدمين ومعاناة الناس في أكثرها ، وليدة التربية التي تدعو إلى الاستسلام والخضوع وإلى محاولة التكيف مع الوضع الذي

[1] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص112.

[2] الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، مرجع سابق ، ص.

يفرضه الاستبداد ومجمل القول عند الكواكبي في مسألة الاستبداد في التربية أن الاستبداد يفسد التربية ويمنعها ليقيم بدلا منها إلغة الخضوع والتذلل والاستسلام أي أنه يشيع المبادئ والخصال السيئة التي تنسجم وطبائعه التي لا يحيا إلا بها [1].

**المبحث الثالث: بدائل الاستبداد عند الكواكبي**

**الحلول :** لقد أدرك الكواكبي ان الاستبداد داء وجب علاجه وشر يلزم التخلص منه ، ولما كان الكواكبي أعلم أطباء عصره بالداء حاول علاجه وجعل نفسه القاضي الذي يقتص من هذا الشر ، لقد حاول الكواكبي طيلة وقته وقدر علمه أن يصلح الواقع السياسي الفاسد في المجتمع حسبه فوضع لهذا المشكل أن يضع ثلاث قواعد علّها تأتي بالصلاح.

1-الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بألم الاستبداد لا تستحق الحرية [2].

2-الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما باللين والتدرج [3].

3-يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد [4] بهذه القواعد حاول الكواكبي محاربة الاستبداد والمستبدين .

1-القاعدة الأولى : إن الأمة إذا ضربت عليها الذلة والمسكنة وتوالت على ذلك القرون والبطون ، تصير تلك الأمة سافلة الطباع حسب ماسبق تفصيله في الأبحاث السابقة.

1-الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بألم الاستبداد لا تستحق الحرية يرى الكواكبي أن الأمة التي تسمح بأن تعيش في الذلة والمسكنة وتتوارث هذه المعيشة بين الأجيال هي أمة سافلة الطباع مثلها مثل الحيوانات التي تأكل وتعمل وتنام بل إنها أقل من الحيوانات بحيث لا تسأل عن الحرية ولا تبحث عن العدالة ، ولا تعرف قيمة الاستقلال وماهية النظام ولاترى في الحياة وظيفة غير التابعية للغالب عليها أحسن أو أساء على حد السواء ، ومن النادر أن تنتقم من المستبد وإذا إنتقمت منه تنتقم شخصه ليس طلبا لتخلص من الاستبداد ، فلا تستفيد شيئا إنما تستبدل مرضا بمرض وعلة بعلة أخرى .

---

[1] محمد جمال طحان ، الاستبداد في الفكر العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص149.

[2]

[3]

[4] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص(1)177، ص(2)،181 (3)184.

2-الاستبداد إذا لا يقاوم بالشدة إنما بالين والتدريج [1] هنا يقصد الكواكبي أن ترقي الأمة في الإدراك والإحساس هو الوسيلة الوحيدة والفعالة لبتر حكم الاستبداد وذلك عن طريق العلم والتعلم وزرع روح التغير في العوام ودفعه لمطالبته بالحرية والعدالة والمساواة بين جميع الأفراد لقضاء على المستبدين والمتمجدين لكن هذا لن يأتي إلا بعد عناء طويل لأن العوام ألفو على هذه الحياة أو ربما لم يعودو يثقو برؤساء آخرين فيتقبلوا حالهم كما هو على أن يقوموا بتغير مستبد بمستبد أعظم منه استبدادا وفي غالب الأحيان ينتقم الرعية من أعوان المستبد فقط ولا يمسون المستبد بسوء لأنهم لا يرون الاستبداد من فتحته الرئيسية ويظنون أن الأعوان هم من يلقون هم الضرر.

3-يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد [2].

يرى الكواكبي أنه لابد من إتفاق العوم على تغيير الحكم والتشبث في يد واحدة وعلى رأي واحد لكي لا تحدث فرق متشعبة من طرف أعوان المستبد ويحدث إستبداد ثان للأمة .

يجب على الرعية أن تكون على دراية بما تقبل على تغييره وما البديل الذي سوف يستبدل به أي أن تعي بكامل حقوقها وواجباتها وتقوم باختيار الحكم أو النظام الأنسب والحاكم المناسب والحرص على التآزر العوام فيما بينهم واتفاقهم على رأي واحد صالح لدولة هذا ما يزيدهم قوة وإتحاد مما يضمن التغلب على المستبد وحاشيته ، والمراد أن من الضروري تقرير شكل الحكومية التي يريدها ويمكن أن يستبدل بها الاستبداد وهذا شكل الحكومة التي يريدها ويمكن أن يستبدل بها الاستبداد وهذا الاستعداد النظري لا بد أن يكون معمم وعلى حسب الإمكان ليكون بعيدا عن الغايات لكي لا يكون صفقة بقبول الرأي العام.

**الشورى:**

يتصور عبد الرحمن الكواكبي أن النظام السياسي السليم الذي لا بد أن تقوم عليه الدولة هو ما يقوم على الدين أي القرآن والسنة المبنى على العقل الذي يدعو إلى الحرية والتمسك بالوحدانية تحت شعار لا إله إلا الله

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص181.

[2] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص184.

ويطالب في هذا الصدد بالحقوق التي يجب أن تحترمها الحكومة مثل حق الحياة وحق الحرية والتملك والتعبير والاعتقاد والتجمع والمساواة ، لا حظنا أن الكواكبي يجمع بين الإسلامية والديمقراطية بحيث يرى أن الحل السياسي لمشكلات المجتمع يمكن في الثورة الدستورية وإستدلال أصول الشورى من القرآن على ما جاء فيه حول قصة بلقيس وقصة موسى وآيات تطلب بالشورى وتحت عليها مستلهما المقولات الإسلامية والتجربة الغربية في تحقيق الديمقراطية التي وعاها بالشورى في تحقيق الديمقراطية التي وعاها الغرب أكثر مما وعاها المسلمون حتى في صيغتها الإسلامية ويعني بالشورى أن الأمر كله في يد الرعية وأن الحكام هم أداة لتنفيذ فقط ينفذون إرادة الأمة فالشعب هو مصدر السلطة فإعطاء مجلس النواب في الحكومات الحديثة هم أهل الحل والعقد في الإسلام والديمقراطية السياسية الأوروبية هي حكم الشعب بالشورى في الفكر العربي الإسلامي [1] لكن الكواكبي يقاوم الديمقراطية الغربية بدمقراطية أخرى هي الديمقراطية الإسلامية التي يراها وحدها الديمقراطية الحقة التي لا تحكم على الأمة إلا من الحكم بما أنزل الله وفق قواعد الإسلامية الشورية وأن الحكم الصحيح يجب أن يستند إلى قانون عادل وملائم يعتمد على الشرع كما يجب أن تقوم الحكومة بوظائفها كاملة لنتمكن من القول إنه حكم ديمقراطي لكن الكواكبي لا يعتقد بوجود الديمقراطية أو بدالة دائمة لذلك يطالب بإستمرار المراقبة والمحاسبة وعدم التهاون والحرص على أن يكون تكامل بين التشريع والتنفيذ بحيث يكون هناك ترابط في المسؤولية، فيكون المنفذون مسؤولين أمام المشرعين المسؤولين أمام الأمة لأنه يرى أن الحكومة سرعان ما تستبدل إذا غفل الشعب عن مراقبتها يتضح لنا أن الكواكبي لا يوثق بوعد من يتولى السلطة ".[2]

**الإسلامية الديمقراطية:**

يرى الكواكبي أن الحكم الأنسب هو الحكم الديمقراطي لكن ديمقراطية تختلف عن الديمقراطية الغربية حيث تبين أن الديمقراطية الغربية تفتقر إلى الجانب الروحي الذي لا يمكن أن يجبيه ويحافظ عليه إلا العالم العربي الإسلامي لأن ديمقراطية مستوحاة من القرآن والسنة لهذا سميت الإسلامية الديمقراطية إلا أن هذه الأخيرة تطالب بما تطالب به الديمقراطية نفسها مع اختلاف نسبي فهي تشترك مع الديمقراطية الأوربية بأن كل منها ليس نظاما سياسيا فحسب

[1] د-جمال طحان الاستبداد وبدائله في الفكر العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص301-302.

[2] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص 306

، بل هو نظام يشمل نواحي الحياة كلها فالديمقراطية أسلوب سياسي وفكري واقتصادي والإسلامية الديمقراطية تشمل العلاقات والحكومات ، والأديان إذا أن الديمقراطية الأوربية تشترك مع مبادئ الإسلامية في تحقيق المساواة و أمام القانون واحترام الحرية الفردية وحق الانتخاب والمراقبة والسعي لتحقيق العدالة الحرية الفردية وحق الانتخاب والمراقبة والسعي لتحقيق العدالة بين الناس إذن الكواكبي طالب ديمقراطية نفسها لكن أعمق التي يشهدها العرب المسلمون بعد الخلافة الراشدية [1]

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص 308-309.

# الفصل الثالث

# نقد وتقييم

**المبحث الاول : أثر الفكر السياسي للكواكبي في الفكر العربي المعاصر .**

لقد إحتله مصطلح الاستبداد أهمية كبيرة وموقع متميز في تجديد الفكر السياسي العربي المعاصر لدى مفكري النهضة الأولى في القرن التاسع عشر إذا نجد أن الفكر السياسي للكواكبي ساهم بشكل كبير في تكوين الفكر السياسي العربي الإسلامي الحديث بحيث أصبح مرجعية معرفية لكل باحث في مشاريع الديمقراطية ، والأنظمة الاستبدادية لأن الكواكبي قام بوضع كل الأسس المعرفية للإستبداد في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وهو الآن يعتبر كقواعد أو مصادر يلجأ إليها أثناء البحث بأن الاسبتداد من حيث مفهومه استبداد ذو مشروعية استمرارية وبالفعل نجد ثمار هذا التأسيس في الفكر العربي المعاصر في دراسات مستقبلية تهدف لبناء الصرح الفكري والسياسي الذي خلفه الكواكبي حيث برزت أعمال ودراسات عديدة هي نتاج لمشروع عبد الرحمن الكواكبي ، يمكننا القول أنه تأسس مشرع الديموقراطية ليعكس الوعي الذي خلفه في الفكر السياسي المعاصر يهدف " دراسة مستقبل الديموقراطية في البلاد العربي وفق منهج بحثي مشترك يهدف إلى التعرف على مداخل الانفتاح السياسي [1] وهذا المشروع هو نتيجة حتمية لظاهرة الاستبداد في العالم العربي وهو مبرر لمطالبة إلى الإنتقال إلى نظم حكم ديمقراطية ومن كل هذا نستنتج أن الأمر يتطلب وفقه نقدية ذاتية متأنية.

**المبحث الثاني: تقييم نظرية الاستبداد عند الكواكبي**

ينتمي عبد الرحمن الكواكبي إلى العالم العربي ، كما أنه وجد رابطا دينيا بين الشعوب الإسلامية العربية وغير العربية ذلك من خلال الربطة الإسلامية التي دعا إليها فكان مع القومية العربية ومع الجامعة الإسلامية في الوقت ذاته ،أما منطلق الكواكبي الأساسي فهو الإسلام فقد حاول توحيد العربي القومي في اتفاق العرب على سلطة عربية ديمقراطية موحدة والديني الإسلامي تحت لواء جامعة إسلامية باعتبار العروبة إنتماء جغرافي وتاريخي ولغوي وتراثي والإسلام ثقافة وعقيدة وأخلاق إذا نرى أن علاقة الإسلام بالعروبة عند الكواكبي هي علاقة تكامل وانسجام لا علاقة تنافر وخصام فهو ينتمي إلى أي إنسان في كل مكان من أي جنسية أودين لأنه يرى أن هناك روابط إنسانية وحضارية تجمع بين الناس جميعا ويعد الكواكبي مفكر عقلاني في عصر النهضة لأنه تميز بإتجاه عقلي لجأ به إلى تفحص وإنتقاء

[1] إسماعيل نوري الربيعي لاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ،2005 ، ص530.

الأفكار التي تلائم الإنسان العربي وحاجاته مرتكزا إلى وجهة نظر دينية أخلاقية كما أيد ليبرالية الطبقة الوسطى في أوروبا مطالبا بحكومة دستورية وبتحديد سلطة الحكومة وتأمين حرية الفرد لكن بإستناد على أسس عقلية من منطق إسلامي فبد ما إقتنع عقليا بالأفكار القادمة من الغرب بحث عن جذور دينية لقناعته ورأيه القائل أن صلاح الحاكم والحكم في صلاح الرعية كما ارتبطت فكرة العدالة عنده بفكرتي الحرية والمساواة والشورى فهي تعني الديمقراطية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكنها ديمقراطية عربية إسلامية [1] .

لقد إستعان الكواكبي في الفكر العربي النهضوي إلى التراث العربي الإسلامي إذا قام بمقارنة بين واقع العرب الفاسد وحاضر الأمم المتقدمة وذلك عن طريق انتقاء صور من التراث العربي وتعزيزها بملاحظات حول واقع الغرب المتقدم وبنى توفيقه بين ثوابت الدين وبين المعطيات الغربية الحديثة وتوفيقاته تنطلق من طبيعة الإنسان ذاته وتهدف إلى تحقيق مصلحته لقد تبين لنا أن الكواكبي كان متفائل في إصلاح الفتولا الحاصل في المجتمع العربي الإسلامي في محاولته لرسم سياسة جديدة لصورة المستقبل من حاضر الغربي والعربي يطل على الماضي إلا أنه لا يمكننا أن نعد فكر الكواكبي ناضجا كل النضج حول ما طرحه من أفكار لأن دولته إلى حل عصره إلا أن بدائله كانت أقل مستوى طموحه وأدنى درجة فهمه الاستبداد وقد تميزت حلوله بصبغة أخلاقية مع كل محاولاته لربط الفكر بالعمل فهو رجل مواقف وليس رجل مذهب كامل متكامل كان داعية لتجديد ضد الجمود والتخلف لا يعد مفكرا تطوريا لأنه حريص على الاحتفاظ بأسس العقيدة الإسلامية ومع ذلك فهو مفكر مرن وغير فظ ولا متعصب بل متسامح إلى أبعد الحدود حاول تقديم العلاج لعصره فهو معين للإصلاح السياسي حتى في وقتنا كما تميز من مفكري عصره بتخصصه بمسألة واحدة ووضع بدائه ، وتمكن أهمية فكر السياسي للكواكبي أنه فتح آفاق في فكر الإنسان العربي والمسلم [2].

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سابق .

[2] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد ، مرجع سبق ذكره ، ص

# خاتمة

## خاتمة:

وختاما لبحثنا هذا فإن الكواكبي عاش في عصر يفتقر إلى السياسية الرشيدة وإلى الحكام أسوياء فكان عصره مليئ بالساسة المستبدين والحكومات المستبدة هذا الذي ولد عنده فكره السياسي وجعله يعالج مشكل السياسية فحسبه الاستبداد مرض خطير أصاب المجتمع العربي خلف هذا المرض آثار سلبية ومضاعفات مست جوانب الحياة ، وبعد الوقوف وتشخيص الداء من طرفه إرتئ وتوصل الكواكبي إلى ضرورة استئصال هذا المرض فإذا عرف السبب بطل العجب، من هنا بحث الكواكبي في سبا التخلص من الاستبداد بعد أن عرج ووقف على كل آثاره في مجالات الحياة حاول ولو بقدرها إلى التوصل إلى كيفية الخلاص منه.

ورغم كل ما قيل الكواكبي عن الاستبداد والحلول التي جعلها في باب التخلص من الاستبداد إلا أنه لا يزال قائم فكثير من الشعوب لا زالت تعاني هذا الأمر ولا زالت تتخبط في ويلات الاستبداد وتبقى الحياة السياسية بين جذب ونفر دائم بين الراعي والرعية وجدال بينهما ، ينتج عنه استبداد إذا ما أهمل أحدهما دوره السياسي كأن تبتعد الرعية في المشاركة في صنع القرار السياسي أو كأن يغالى الراعي في سياسية هكذا ينشأ الاستبداد والسبيل الوحيد لتخلص منه هو أن يتشارك الاثنان معا جنبا لجنب في صنع قرارات سياسية وأخيرا الاستبداد آفة الشعوب السياسية وجب محاربتها فهي تقمع الحريات وترسخ الديكتاتوريات فلا مكان لها وسط الشعوب المتحررة التي تتطلع إلى تطور والازدهار ولقد وفق الكواكبي إلى أبعد مدى في معالجة هذا الموضوع ويبقى فكرة السياسي مصدر كل الشعوب المتحررة .

**قائمة المصادر والمراجع :**

1- الطاهر أحمد الرازي ترتيب قاموس المحيط على طريقة مصباح منير وأساس البلاغة الجزء1 عيسى ال... الحلبي وشركاءه طبعة 2 ( د س ن).

2- ابن منظور لسان العرب م ج 1 دار الصاد بيروت ، طبعة 1 1997 .

3- إبراهيم أنيس وآخرون معجم الوسيط م ج1.

4- عبد المنعم حنفي تأمل للمصطلحات فلسفية في اللغة العربية إنجليزية فرنسية ، مكتبة مديولي 6 ميدان طلعت حرب القاهرة طبعة 2003.

5- محمد جمال طحان الاستبداد وبدائله في الفكر العربي الحديث الكواكبي أنموذجا ، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت طبعة 3

6- زوهير فريد مبارك أصول الاستبداد العربي مذكرة ماجستير 2007 .

7- عبد الوهاب الكياني الموسوعة السياسية جزء1 بيروت المؤسسة العربية لدراسات والنشر .

8- الموسوعة الفلسفية العربية المجلد 1 الطبعة 1 معهد الإنماء العربي .

9- جان توشار تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ترجمة دباجي الدراوشة .

10- يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة 5 القاهرة ، مطبعة لجنة تأليف و النشر 1970.

11- ميكيافلي الأمير .

12- ميكيافلي الأمير تعقيب فاروق سعد .

13- زكرياء إبراهيم مشكلة الحرية .

14- محمد عبدو الأعمال كاملة للإمام عبده تحقيق محمد عمارة ج 1 الكتابيات السياسية في الشورى والاستبداد طبعة 1 بيروت لدراسات والنشر .

15- فرح أن طون ،إبن رشد طبعة 2 الجزائر دار الغرابي 2001.

16- زينب شاكر إبن رشد ومدينة الفاضلة مجلة العربي وزرة الإسلام الكويت 2007 .

17- تقي الدين ابن تميمة السياسية الشرعية إصلاح الراعي دار الهلال .

18- أبو نصر الغرابي ،أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق براهيم جزيني قاموس حديث .

19- محمد عابد بد الجابري نحن وتراث ط2 بيروت مركز ثقافي عربي 1993

20- عباس محمود العقاد ، الرحلة لكاف عبد الرحمن الكواكبي ، دار نشر للجامعات المصرية علاء الدين وشركاءه شركة قومية للأسهم شارع شريف بالقاهرة طبعة 11 نوفمبر 1959.

21- عبد الرحمن الكواكبي ، د جمال طحان ، أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية دار النشر الإمارات العربية المتحدة ، ط6.

22- السيد الفراتي ، عبد الرحمن الكواكبي أم القرى ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة مكرمة تقديم فاطمة حافظ دار الكتاب مصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت ط الأولى 1435 هـ ، 2014م.

23- زكي العوض حركة الإصلاح في العصر الحديث عبد الرحمن الكواكبي أنموذجا دار الرازي الطبعة الأولى 1425هـ-2004م

24- عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد تقديم د اسعد السمراني الطبعة الثالثة ، دار النفائس .

25- القرآن الكريم .

26- إسماعيل نوري الربيعي الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، طبعة1 ،2005.

27- عبد الرحمن الكواكبي طبائع الاستبداد ومصارع الاستعبداد تقديم محمد خالد طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرقابة الجزائر .

**الملخص:**

تناولنا في هذا البحث علاقة جدلية الراعي بالرعية في فكر الكواكبي وعرجنا من خلاله إلى نظرية الاستبداد عند الكواكبي تطرقنا فيها إلى الاستبداد وأثره على الميادين الأخرى وحاولنا قدر الإمكان الوصول إلى حلول تأول إلى التخلص من فكرة الاستبداد السياسي خاصة فيما يخص المجتمع العربي.

**Abstract:**

In this research, we dealt with the controversial relationship of the shepherd with the parish in the thought of al-Kawakibi, and we turned through it to the theory of tyranny among al-Kawakibi.